ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة عام١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م من خلال «الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية» للمراد آبادي

د. هشام فوزي عبدالعزيز

الأستاذ المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة

المقدمة:

تحظى المدينة المنورة، بمكانة مرموقة عند المسلمين، لكونها مدينة رسول الله ﷺ، الذي أرسى قواعد الإسلام، ووضع فيها أسس وبنيان الدولة الإسلامية، وعلى أرضها، ومنها انطلقت رايات الإسلام خفاقة إلى بقاع الدنيا. واستمرت تلك المسيرة، بعد وفاته، حيث أخذ صحابته والتابعين، بإكمال منجزاته. وتأسيساً على ما سبق فإنها المدينة الثانية عند المسلمين؛ ففيها المسجد النبوي، الذي تتضاعف فيه الصلاة عن غيره من المساجد، وفيه الروضة النبوية الشريفة وقبور الصحابة، إضافة إلى الكثير من المساجد التي لها أهمية دينية، كما أن للمدينة والإقامة فيها فضائل دينية جمة؛ لذا فقد لقيت اهتماماً بالغاً من قبل المسلمين في مختلف بقاع العالم الإسلامي، بما في ذلك الهند، حيث أنهم أخذوا يتطلعون بشوق لزيارتها؛ لأداء مناسك الحج والعمرة فيها، أو الإقامة هناك. وكان من بين الذين زاروها وأقاموا فيها، الرحالة رفيع الدين المراد آبادي، الذي دون رحلته عن الحجاز، من خلال وصف الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية هناك.

إشكالية البحث:

سيحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التالية:

- من هو الرحالة المراد آبادي؟
- ما المنهجية التي سار عليها المراد آبادي في جمع معلوماته عن المدينة المنورة؟
- ما الفئات الاجتماعية التي تواجدت في المدينة المنورة، في أثناء زيارة المراد أبادي عام١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م؟
- ما أهم العادات والتقاليد التي كانت سائدة بين تلك الفئات الاجتماعية؟
- ما أبرز الانتقادات الاجتماعية التي أوردها المراد آبادي عند حديثه عن المدينة المنورة؟

- ما أهمية المعلومات الاجتماعية التي أوردها المراد آبادي في رحلته إلى المدينة المنورة مقارنة بالمصادر التاريخية الأخرى، بما فيها الرحلات الإسلامية أو الأوروبية؟

أهمية البحث:

يعد موضوع «ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م من خلال «الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية» للمراد آبادي» [(١)]، من المواضيع البحثية الهامة التي تستحق الاهتمام والعناية بها من قبل الباحثين؛ لجملة من العوامل، هي:

١- خصص البحث لتناول تاريخ المدينة المنورة، ثاني الحواضر الإسلامية من حيث الأهمية الدينية عند المسلمين، لكونها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيها قامت دعائم دولته الإسلامية، واحتوائها على مسجده النبوي وروضته الشريفة، إضافة إلى مساجد وبقاع لها أهميتها الدينية؛ ومن هنا تأتي أهمية البحث في كونه يلقي الأضواء على مدينة مقدسة وهامة.

٢- في حدود علم الباحث، لم يدرس الموضوع المذكور أعلاه، دراسة علمية مستقلة، ووافية، وبالتالي فإن الموضوع يعد بكراً، ولم تتم معالجته من قبل.

٣- لم تلق الرحلات الهندية إلى الجزيرة العربية، بعامة والحرمين بخاصة، في التاريخ الحديث والمعاصر، العناية الكافية والمناسبة من قبل الباحثين، بالرغم من وجود ما يقرب من مائتي رحلة، كتبت باللغتين الأردية والفارسية عن تلك الفترة؛ فتلك الرحلات تحتاج إلى جهود فرق متخصصة لترجمتها ودراستها وتحليلها. ويمكن لهذه الرحلات أن تقدم صورة غير مسبوقة عن أوضاع الحرمين الشريفين، مكة

---

(١) رفيع الدين المرادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (١٢٠١هـ/ ١٧٨٩م)، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

والمدينة المنورة[١]، وإجراء مقارنة بين ما أوردته تلك الرحلات، وما ورد في الرحلات الأوروبية، بهدف الحصول على صورة متكاملة عنهما، في تلك الحقبة[٢].

٤- تعتبر رحلة المراد آبادي، من أقدم الرحلات الهندية إلى الجزيرة العربية، إذ أنها كتبت في مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، أي قبل نحو قرنين وربع القرن، ومثلت نموذجاً للرحلات التي كتبت باللغة الفارسية، التي كانت آنذاك لغة الأدب والعلم.

٥- كتبت الرحلة من قبل رحالة مسلم وعالم بالعلوم الشرعية، يتقن اللغات: العربية، الفارسية والأردية، وقد احتوت الرحلة على معلومات قيمة ودقيقة، لا غنى للباحث في تاريخ المدينة المنورة في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي عن الرجوع إليها؛ من هنا جاء البحث لدراسة هذه الرحلة دراسة علمية، لمعرفة أهميتها.

٦- المنهجية العلمية التي اعتمدها الباحث في البحث، قامت على الإحاطة بحياة الرحالة، والمنهجية التي اتبعها في جمع معلوماته عن المدينة المنورة، ثم تبويبها

---

(١) جلال السعيد الحفناوي، «الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي»، في :الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م، ط٢، الرياض، دارة الملك عبدا لعزيز، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج، ٨٤٧، ٢- ٨٤٨؛ أحمد على خان، وصف رحالة الهند وباكستان للجزيرة العربية: مصدر مهمل من مصادر التاريخ للجزيرة العربية، في :الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ج٢، ص٨٩٤.

(٢) عن الرحلات الغربية إلى الجزيرة العربية، انظر :روبن بدول، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبدا لله آدم نصيف، ط١، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م؛ أغسطس رالي، مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ترجمة حسن سعيد غزالة، الرياض، ط١، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

حسب موضوعاتها، وتحليلها، وإخضاعها للضوابط العلمية، ومن ثمة الحكم على مدى دقتها، وأهميتها من خلال مقارنتها بمعلومات وردت في المصادر التاريخية المعاصرة، التي تناولت تاريخ المدينة المنورة في العهد العثماني (٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م).

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

١- توضيح بعض جوانب الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة من خلال رحلة المراد آبادي إليها عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٩م.

٢- التعرف على المنهجية التي اتبعها المراد آبادي في جمع معلوماته عن المدينة المنورة.

٣- التعرف على مدى دقة المعلومات الاجتماعية التي أوردها المراد آبادي في رحلته عن المدينة المنورة.

٤- تبيان أهم الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة التي تناولتها المراد أبادي في رحلته.

٥- التركيز على أهمية المعلومات الواردة في الرحلة، من خلال مقارنتها بالمصادر التاريخية المعاصرة، لا سيما التاريخية والأدبية وكتب الرحلات، سواء كان ذلك رحلات إسلامية أو أوروبية، لمعرفة مدى دقة موضوعية الرحالة.

مصطلحات البحث:

يمكن تحديد أهم المصطلحات الواردة في البحث، وهي:

-الحياة الاجتماعية: يقصد بها المعلومات الواردة عن المجتمع المدني، من حيث: الفئات السكانية، مناقبهم العامة، عاداتهم وتقاليدهم، وأهم الانتقادات الاجتماعية التي تنبه لها المراد أبادي، ودونها في رحلته.

-المراد آبادي: هو رفيع الدين المراد آبادي ١١٣٤-١٢٢٣هـ/ ١٧٢١-١٧٨٩م، الذي قام برحلته إلى الحرمين الشريفين، وسترد تفاصيل حياته في البند الخاص بذلك.

-الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية: وهي الرحلة التي دونها المراد آبادي في أثناء زيارته إلى الحرمين الشريفين بين عامي ١٢٠١-١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧-١٧٨٨م.

-المصادر التاريخية: مصادر المعلومات المتعلقة بالمدينة المنورة، كالمصادر التاريخية والأدبية والرحلات العربية والأوروبية ٩٢٣-١٣٣٢هـ، إضافة إلى المراجع الحديثة، التي تناولت دراسة تلك الفترة، بغية المقارنة بين معلوماتها، والمعلومات التي وردت في الرحلة، لإبراز أهميتها.

الحدود الزمنية والمكانية للبحث:

تقتصر حدود الدراسة على التالي:

-الحدود المكانية: المدينة المنورة بعامة، والحرم النبوي بخاصة في بداية القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

-الحدود الزمنية: تمتد الفترة الزمنية للبحث ما بين ٦ / ٣ - ٢٨ / ٧/ من عام ١٢٠٢ هـ/ ١٦/ ١٢/ ١٧٨٧-٤/ ٥/ ١٧٨٨م، وهي الفترة التي أقام فيه الرحالة في المدينة المنورة.

الدراسات السابقة:

أجرى الباحث مسحا للدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، فلم يجد دراسة مستقلة بذلك العنوان، حتى أن موضوع رحلة المراد آبادي إلى الجزيرة العربية بعامة، لم يحظ بدراسة علمية مستقلة، وكل ما كتب عن الرحلة، هي دراسات عامة، وموجزة، لم تستوف الموضوع حقه، منها:

١- دراسة سمير عبدالحميد نوح، التي تناولت التطور التاريخي للرحلات الهندية إلى الجزيرة العربية، مع التركيز على الفترة من القرن العاشر الهجري/ السادس

عشر الميلادي، وحتى بداية القرن الخامس عشر الهجري/ أواخر القرن العشرين الميلادي، مع ذكر أمثلة على تلك الرحلات، كانت رحلة المراد آبادي، من بينها حيث تم إيراد بعض النصوص منها(١).

٢- دراسة أحمد على خان، واحتوت على أهم الرحلات الهندية إلى الجزيرة العربية، وإيراد نماذج من تلك الرحلات، أيضاً كان من بينها رحلة المراد آبادي، وبخاصة ما يتعلق بانطلاق الرحلة من الهند مروراً باليمن، وما اكتنفها من مصاعب، حتى وصوله إلى الحرمين الشريفين(٢).

٣- دراسة جلال السيد الحفناوي، تناول فيها الرحلات الهندية إلى الجزيرة العربية، في الفترات الحديثة والمعاصرة، واستعرض فيها الاتجاهات الفكرية لهؤلاء الرحالة، مع سرد بعض النصوص من تلك الرحلات، بما فيها رحلة المراد آبادي(٣).

يستخلص من الدراسات السابقة، أعلاه، أنه لا توجد دراسة علمية مستقلة بعنوان البحث قيد الدراسة، وبالتالي، فالبحث هو الأول في هذا المجال. أما الدراسات السابقة، فهي عامة، غير مخصصة لرحلة المراد آبادي، وغلب عليها إيراد بعض النصوص من الرحلة، ومع ترجمة الرحلة إلى اللغة العربية فإن تلك النصوص قد فقدت أهميتها. هذا إلى جانب قلة تحليل المعلومات ونقدها ومقارنتها بمصادر تاريخية أخرى، وعليه فإن فائدة تلك الدراسات محدودة الفائدة والأهمية.

---

(١) سمير عبد الحميد نوح، الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١١٢-١١٣، ٤٨٠-٤٨٣.

(٢) خان، وصف رحالة الهند وباكستان للجزيرة العربية، ص٨٩٩-٩٢٢.

(٣) جلال السعيد الحفناوي، «رحلات الحج الهندية إلى مكة وأثرها على مسلمي شبه القارة الهندية»، في: الأبحاث المقدمة إلى الندوة الكبرى المقامة بمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام ١٤٢٦هـ، المنعقدة في رحاب جامعة أم القرى بمكة المكرمة خلال الفترة من ١٣-١٥/ ٨/ ١٤٢٦هـ الموافق ١٧-١٩/ ٩/ ٢٠٠٥م، ط١، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، المحور التاسع، ج١، ص١٦٦-١٧٢.

١ - المراد آبادي ورحلته إلى المدينة المنورة:

قبل الخوض في مظاهر الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة من خلال الرحلة الهندية للجزيرة العربية، ينبغي التركيز على الرحالة والتعريف به، وبخاصة نشأته وتعليمه ومؤهلاته العلمية؛ لم لذلك من مدلولات هامة على المعلومات التي يوردها؛ من حيث الأهمية والدقة والقيمة. كما ينبغي التعريف بدوافع رحلته إليها، وفترة إقامته هناك، والمنهجية العلمية التي سار عليها في جمع معلوماته الاجتماعية وغيرها، بغية الحكم على تلك المعلومات من الناحية العلمية.

التعريف بالمراد آبادي:

انتشر الإسلام في شبه القارة الهندية تدريجياً بداية القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، واستمر في ذلك، حتى انتشر بشكل كبير في القرن الخامس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، حيث أسست إمارات إسلامية هناك(١). ومع ترسخه وتعمقه ما بين المسلمين الذين أخذوا الاهتمام بتأدية شعائره، و بخاصة أداء مناسك الحج والعمرة ؛ الأمر الذي تطلب منهم الاهتمام بالحرمين الشريفين و الإقامة فيهما، والمجاورة فيهما، ورعايتهما وتوفير الدعم المالي لهما ولسكانهما. ولم تقتصر تلك العلاقة على البعد الديني، بل امتدت إلى الجانب الاقتصادي، فتوطدت العلاقات التجارية ما بين الهند والحجاز(٢).

لم يكن المراد آبادي أول، من دون رحلته، من الحجاج الهنود بل سبقه آخرون، خلال فترة التاريخ الحديث، أي منذ بداية القرن التاسع الهجري / السادس عشر

(١) عن انتشار الإسلام في الهند، انظر: عبدالله مبشر الطرازي، انتشار الإسلام في العالم :في ٤٦ دولة آسيوية وافريقية، ج١، ط١، جده، عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص٤١-٤٣.

(٢) ثريا فاروقي، حجاج وسلاطين: الحج أيام العثمانيين، ترجمه أبو بكر باقادر، ط١، بغداد، منشورات الجمل، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ص٢١٧-٢٦٤؛ رائد على هاشم، تاريخ الصلات بين الحجاز والهند، ط١، إربد، المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ١٠٢-١٤٤؛ خان، وصف رحالة الهند وباكستان للجزيرة العربية، ص٨٩٣-٨٩٤.

الميلادي، كان من أبرزهم الشيخ عبدالحق المحدث الدهلوي، الذي زارهما عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٩م، ودون رحلته وأسماها «جذب القلوب إلى ديار المحبوب»، وقد كتبت باللغة الفارسية، كونها لغة العلم في الهند آنذاك[١].

وزار شاه ولي الله الدهلوي[٢]، الحرمين الشريفين في عام ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨، وسجل رحلته باللغة الفارسية، بعنوان : «فيوض الحرمين» [٣]. كما قام محمد معصوم برحلة إلى الحرمين الشريفين بين عامي ١٠٦٧-١٠٦٩هـ/ ١٦٥٧-١٦٥٩م، وكتبت رحلته بالعربية بعنوان «يواقيت الحرمين»، ثم ترجمت إلى اللغتين: الفارسية والأردية[٤].

---

(١) نوح، الجزيرة العربية في أدب الرحلات للأردي، ص١١٠-١١١؛ نفسه، المدينة المنورة في عيون شبه القارة الهندية، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع١، ٢٠٠٠م، ص١٥٣؛ الحفناوي، رحلات الحج الهندية، ص١١٦؛ نفسه، الرحلات إلى شبه الجزيرة في الأدب الأردي، ص٨٥٢.

(٢) شاه ولي الله الدهلوي: من أبرز علماء شبه القارة الهندية في مجال العلوم الشرعية في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. كما عمل على تأسيس مدارس دينية في المناطق مختلفة من الهند تميزت بمستواها العالي ؛ نظراً لكونها استخدمت آنذاك أساليب متقدمة في التدريس، إضافة إلى مناهج وكتب تدريسية ذات مستوى عال. انظر: أحمد الجوارنة، الهند في ظل السيادة الإسلامية: دراسات تاريخية، ط١، إربد، المؤلف، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٢٠٠.

(٣) نوح، الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص١١١؛ نفسه، المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية، ص١٥٣؛ الحفناوي، الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص٨٥٣، نفسه، رحلات الحج الهندية، ص١١٧؛ خان،، وصف رحالة الهند، ص٨٩٨. ١٢- نوح، الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص١١١؛ نفسه، المدينة المنورة في عيون أدباء شبه القارة الهندية، ص١٥٣؛ الحفناوي، الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص٨٥٣.

(٤) نوح، الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص١١٣؛ نفسه، مقدمة الرحلة الهندية، ص٦-٧؛ الحفناوي، رحلات الحج الهندية، ص١١٨، ١٦٤-١٦٥.

وبعدها جاءت رحلة المراد آبادي، الذي زار الحرمين الشريفين بين عامي ١٢٠١-١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧-١٧٨٨م. وقبل الخوض في تفاصيل الرحلة من الأهمية بمكان التعريف بصاحبها، فهو رفيع الدين بن فريد المراد آبادي، من مواليد الهند عام ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م، ركز في دراسته على العلوم الشرعية بعامة وعلوم الحديث بخاصة، حتى برع فيها، عندها أنتقل إلى مجال التدريس و تأليف الكتب الدينية بعامة والحديث بخاصة، منها كتاب: «تذكرة الملوك» و «شرح الأربعين». وفيما يتعلق بالسيرة النبوية، فقد ألف كتاب «سلوى الكئيب بذكر الحبيب» [(١)]. وكان المراد أبادي يجيد اللغات: الفارسية والأردية والعربية، ويقرض الشعر فيها[(٢)]. وقد وافته المنية عام ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٩م، عن عمر ناهز التاسعة والثمانين عاماً[(٣)].

ويلاحظ من خلال العرض السابق أن المراد آبادي كان على درجة علمية متقدمة في مجالات العلوم الشرعية المختلفة، ومثقف على علم ومعرفة ودراية بالآداب العربية والفارسية والأردية، الأمر الذي مكنه عند زيارته للمدينة المنورة أن يقدم معلومات طيبة عنها.

وفيما يتعلق بالرحلة، فقد كتبت باللغة الفارسية، لغة العلم والثقافة آنذاك، وأطلق عليها مسميات عديدة، منها: «مشاهدات حرمين شريفين»، و «آداب الحرمين»، «سوانح حرمين»، «رحلات الحرمين، ومسير الحرمين»[(٤)]. وربما أن تعدد

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٢٥.

(٢) نوح، مقدمة الرحلة الهندية، ص٧ ؛ خان، وصف رحالة الهند، ص٨٩٩.

(٣) نوح، مقدمة الرحلة الهندية، ص٧؛ خان، وصف رحالة الهند، ص٨٩٩؛ الحفناوي، الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص٨٥٣؛ نفسه، رحلات الحج الهندية إلى مكة، ص١٦٤-١٦٥؛ محمد علي هادي، أضواء على الرحلات الفارسية القديمة إلى الديار المقدسة، العرب، ج١-٢، س٣٢، رجب –شعبان ١٤١٧هـ/ تشرين الثاني –كانون الأول ١٩٩٦، ص٣٠.

(٤) المراد آبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية.

هذه التسميات يعزى إلى جملة من الأسباب، منها أنها كتبت بعدة لغات، كما توافر منها أكثر من نسخة. أما الترجمة العربية لها، فقد أسميت بـ «الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية» [١].

بدأ المراد أبادي رحلته من مسقط رأسه في الهند في شهر محرم عام ١٢٠١هـ/ تشرين الثاني ١٧٨٦م، فوصف المناطق التي مر بها من الهند بحراً إلى بحر العرب، ثم اليمن وأهم مدنها الساحلية، حتى وصل مكة المكرمة في ١٤ شوال ١٢٠١/ ٣٠ تموز ١٧٨٧م، فأقام فيها أربعة أشهر، ثم أتجه إلى المدينة المنورة، فوصلها في يوم الاثنين ٦ / ٣/ ١٢٠٢هـ-١٦/ ١٢/ ١٧٨٧م[٢]، وأقام فيها حتى يوم الاثنين ٢٨/ ٧/ ١٢٠٢هـ -٤/ ٥/ ١٧٨٨م، وبالتالي فإنه أقام فيها نحواً من خمسة أشهر تقريباً[٣].

وخصص المراد أبادي في رحلته للمدينة المنورة ما يقرب من ثلاثين صفحة من صفحات رحلته، البالغ عددها قرابة المائة والخمسين صفحة، أي أنه خصص للمدينة ٢٠٪ من مجمل صفحات رحلته[٤].

وتأسيساً على ما سبق، فإن مدة إقامة المراد آبادي في المدينة المنورة كانت كافية ومناسبة ليتعرف على المدينة ومجتمعها بدقة ؛ الأمر الذي مكنه من تقديم معلومات هامة، فقدم وصفاً مهما للحرم النبوي، وأن يتنقل في مناطق المختلفة، وأن يلتقي بنخبة من رجالها من العلماء والساسة، واحتك بهم، وتعرف عليهم عن قرب ومن خلال تلك التجربة؛ قدم لنا في رحلته معلومات في غاية الأهمية من حيث نوعيتها ودقتها.

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٣.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٤.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٤، ١٠٣.

(٤) المصدر السابق، ص٨٤.

وفيما يتعلق بدوافع رحلة المراد أبادي إلى المدينة المنورة، كان من الطبيعي أن يكون الهدف الرئيس لرحلته إلى الحرمين الشريفين، هو أداء مناسك الحج والعمرة في مكة المكرمة، إضافة إلى رغبة ملحة بزيارة المدينة المنورة، مدينة رسول الله.

لقد أورد المراد أبادي أسباب وعوامل عديدة وراء اهتمامه بزيارة المدينة، حيث أنه كان يتمنى العيش والإقامة الدائمة فيها، حتى تأتيه المنية، لما لها من فضائل دينية عديدة[١]، ومن أجل زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروضته الشريفة، وزيارة بقية المشاهد في أرجاء المدينة، كونها مقر إقامة واستقرار النبي ﷺ[٢].

يضاف إلى ما سبق، فإن المراد آبادي كان متشوقاً للوقوف على تاريخ المدينة، كونها مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خلال الوقوف على أخبارها وآثارها ومشاهدها، ومزاراتها[٣].

وكان من جملة الأهداف التي سعى إلى تحقيقها من زيارة المدينة المنورة أن يكمل تحصيله العلمي في مجالات العلوم الشرعية المختلفة من خلال الاستفادة من علمائها البارزين، وبخاصة في الحديث والفقه واللغة العربية والعلوم، حيث أنها كانت تزخر

---

(١) عن فضائل المدينة المنورة، انظر: أحمد بن محمد الخفاجي (توفي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) رسالة في فضل المدينة وساكنها وفي فضل الأنصار رضي الله عنهم وفي المنبر الشريف، تحقيق عبدالرزاق عبد الرزاق عيسى، في دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص٥٠-١٧٦؛ محمد بن كبريت بن عبدالله الحسيني، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق عائض الردادي، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م؛ زين العابدين الخليفتي (ت١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر، تحقيق محمد علي فهيم بيومي، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ٥٠-١٧٦.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص، ١٠٧، ٩٧، ٩٩، ١٠٤-١٠٨.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٩-١٢٢-١٢٧.

بنخبة منهم؛ لذلك حرص المراد آبادي على الاستفادة من علومهم، والحصول على إجازات علمية منهم في اختصاصاتهم[١].

ومن القضايا الهامة التي ينبغي التركيز عليها في رحلة المراد آبادي إلى المدينة المنورة، المنهجية التي سار عليها في جمع معلوماته عنها، وأسلوب التعامل مع تلك المعلومات؛ لأن من شأنها أن تطمئن القارئ إلى دقة المعلومات أو عدمه.

وفيما يتعلق بمصادر المعلومات التي استند عليها المراد أبادي في حديثه عن المدينة المنورة بعامة، والأوضاع الاجتماعية بخاصة، فإنها تميزت بالتعدد والتنوع، ومن أهمها:

١- المشاهدة والمعاينة:

تعد المشاهدات العينية والمعاينة للرحالة من أهم مصادر المعلومات التي تم الاعتماد عليها، وجمعها عن المناطق التي قاموا بزيارتها. وهي بالتالي تعد أدق وصفاً وتعبيراً عن الواقع مقارنة بالسماع والقراءة[٢]؛ لقد أعلن المراد أبادي صراحة عن هذا الأمر بشكل واضح وجلي، عندما تحدث عن أهداف تدوين رحلته، بقوله: «وهكذا أردت أن أسجل ذكريات رحلتي، **وما أشاهده في سفري هذا من أماكن وبلاد، وطرق ومنازل سفر، سواء كان ذلك في البر أو البحر، وأن أصف الأماكن التي أزورها في الأراضي المقدسة، وكذا المشاهد المباركة**» [٣].

إن أغلب المعلومات التي أوردها المراد أبادي عن المدينة المنورة جمعت من خلال المشاهدات العينية كما يتضح من معلومات الرحلة، منها عندما أخذ يصف الصلاة في الحرم النبوي والحركة التعليمية فيه، فقال: «فشاهدت من الأمور العجيبة والأحوال

---

(١) عواطف محمد يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، الرياض، ط١، دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص١٠٠-١٢٢.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٢-١٣.

(٣) المصدر السابق، ص١١٥.

الغريبة، ما لم أره في حياتي» [١]. وعندما زار إحدى الحدائق في المدينة أشار إلى المشاهدة، عندما ذكر أنه كان يتنزه فيها ويتفرج عليها، وبالتالي فإن المشاهدة هي المصدر الرئيس لمعلوماته في هذا المجال[٢]. وعند حديثه عن الإجازات العلمية التي منحها العلماء لطلبة العلم في أثناء زيارته للمدينة قال: «كما رأيت» شهادات نسب العلماء[٣].

ومما لا شك فيه أن المشاهدات العينية للرحالة تعد من المصادر الهامة لجمع المعلومات في رحلاتهم، مع عدم إغفال المصادر الأخرى التي من شأنها أن تكمل جوانب النقص فيها.

٢ - المصادر المكتوبة:

كان من جملة مصادر المعلومات التي اعتمد عليها المراد أبادي في رحلته إلى المدينة المنورة الاستفادة من المصادر المكتوبة، سواء كانت دينية أم تاريخية، وقد أشار إلى ذلك بوضوح عندما تحدث عن مصادر معلوماته بقوله: «وما أقرأه من الكتب: من العجائب، والفوائد، والحكايات» [٤].

ومن المصادر التاريخية التي اعتمد عليها في رحلته كتاب المسعودي (٢٨٦-٣٤٦هـ/ ٨٩٦-٩٥٧م)، الذي أسماه «تاريخ المدينة»[٥]، وكتاب السمهودي (٨٤٤-

---

(١) المصدر السابق، ص١١٦.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٢.

(٣) المصدر السابق، ص١٣.

(٤) المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي، ولد في بغداد ودرس فيها، برز في مجالات علمية متعددة أبرزها الجغرافية والفلك، كان كثير الترحال، زار أغلب المناطق الإسلامية الشرقية مثل فارس والهند وقزوين، إضافة إلى الجزيرة العربية ومصر، ألف مجموعة من الكتب التاريخية والجغرافية منها: «مروج الذهب ومعادن الجوهر»، و«التنبيه والأشراف والملوك» و «أهل الديارات». انظر: على حسن الخربوطلي، المسعودي، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

(٥) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٣. ولم نعثر على عنوان لكتاب «تاريخ المدينة» للمسعودي، بعد البحث في الكتب المخطوطة والمطبوعة.

٩١١هـ/ ١٤٤٠-١٥٠٥م) «وفاء الوفاء في أخبار المصطفى»[١]، وكتاب أحمد بن عبدالحميد الهاشمي الهندي (ت١٠٣٥هـ/ ١٦٢٦م)، عمدة الأخبار[٢].

وعندما كان المراد أبادي يتحدث عن المواضيع الدينية، اعتمد على القرآن الكريم وكتب السيرة والأحاديث، فبالنسبة للقرآن فإنه أورد العديد من الآيات القرآنية، منها عند حديثه عن فضل الصحابة[٣]، فإنه ذكر الآية: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[٤] و ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٥].

وفيما يتعلق بكتب الحديث النبوي والسيرة، فإنه اعتمد عليها في مواضيع مختلفة، من الأمثلة عليها، منها عندما تحدث عن وفاة الشريف سرور بن مساعد (١١٨٦-١٢٠٢هـ/ ١٧٧٣-١٧٨٨م)[٦] في مكة، وإقامة صلاة الغائب عليه في الحرم النبوي،

---

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٩. السمهودي: نور الدين ابو الحسن علي، ولد في سمهود بصعيد مصر ونشأ في القاهرة، وحفظ القرآن الكريم، وتضلع في العلوم الشرعية والتأريخ، ثم استقر به المقام في المدينة المنورة، وقد وصف بأنه أحد أبرز العلماء فيها ومفتيها ومدرسها، ومؤرخها الشافعي. له العديد من المؤلفات في مجال اهتمامه الديني والتاريخي، ومن أبرز كتبه في المجال الأخير «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى»، الذي يعد من أهم الكتب التاريخية التي ألفت عن المدينة المنورة خلال فترات التاريخ الإسلامي المختلفة. لمزيد من المعلومات، انظر: ابتسام عبد المحسن السويلم، السمهودي: منهجه وموارده في كتاباته التاريخية ٨٤٤-٩١١هـ/ ١٤٤٠-١٥٠٥م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٩م.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٩.

(٣) المصدر السابق، ص١١٢.

(٤) القرآن الكريم، البقرة، آية ١٣٤.

(٥) القرآن الكريم، الحشر، آية ١٠.

(٦) الشريف سرور بن مساعد: يعد من أهم الأشراف الذين تولوا حكم مكة المكرمة بين عامي ١١٨٦- =

فاستدل على ذلك بالحديث النبوي الذي يجيز هذا الأمر، كما حدث عند وفاة النجاشي في الحبشة والصلاة عليه صلاة الغائب في مكة[١]. وعندما تناول فضل أهل البيت والصحابة، ذكر أنه نقلها عن كتب السيرة والحديث، دون أن يفصح عنها بدقة[٢].

واعتمد المراد أبادي في معلوماته عن الأوضاع الاجتماعية في المدينة المنورة على دواوين الشعر منها ديوان شعر جلال الدين الرومي في ديوانه «المثنوي»[٣]، وأشعار عبد الرحمن إلجامي[٤].

=

١٢٠٢هـ لأنه وحد الأشراف، وأوجد الأمن للحرمين الشريفين، وله إنجازات سياسية واقتصادية فيهما. لمزيد من المعلومات، انظر: إسماعيل حقي جارشلي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن اللغة التركية خليل علي مراد، ط١، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣، ص١٩٣-١٩٩؛ علي معتوق عبدالله القط، الحجاز في القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، د. ت، ص٥٨-٦٧.

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٦. لمزيد من المعلومات حول إقامة صلوات الغائب في الحرم النبوي، انظر: عبدالله باش أعيان، الفتوحات الكوازية إلى الأراضي الحجازية سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩م، ص٤٥.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٢.

(٣) المصدر السابق، ص١١٣. وجلال الدين الرومي: ولد في بلخ عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٧م، ثم عاش مع والده فترة في دمشق، إلى أن استقر في قونية، بناءً على دعوة من علاء الدين السلجوقي، حيث عمل في مجال التدريس. له العديد من المؤلفات، من أهمها ديوان شعري مشهور بعنوان «المثنوي»، الذي يتكون من ٢٦ ألف بيت من الشعر، تعد من أجمل وأروع ما أنتجه الفكر الإنساني، توفي عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م. وزارة الثقافة والإرشاد القومي (إيران)، مديرية التأليف والترجمة، روائع من الشعر الفارسي: جلال الدين الرومي؛ سعدي الشيرازي؛ حافظ الشيرازي، ترجمة محمد الفراتي، طهران، الثقافة والإرشاد القومي (إيران)، مديرية التأليف والترجمة، د. ت، ص هـ-ت.

(٤) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٤. ونور الدين عبد الرحمن الجامي، من الشعراء الفرس المشهورين، له مؤلفات ودواوين شعرية منها: «هفت رنك» الذي يشمل على سبع منظومات شعرية. توفي عام ٨٩٨هـ/ ١٤٩٢م. المصدر السابق، ص١٦٣، هامش رقم٢٣.

٣ - **جمع المعلومات من ذوي الاختصاص:**

كان من بين الوسائل التي استعان بها المراد أبادي لجمع المعلومات في رحلته إلى المدينة المنورة الأسئلة والاستفسار من ذوي الاختصاص في الموضوع المراد تناوله، وقد ذكر ذلك بصراحة عندما بين قال : «وأنقل ما أسمعه من الثقات»[١]. إذ أنه حصل الرحالة على معلومات مسبقة من حجاج بلاده عن مكة المكرمة والمدينة المنورة، والطريق الواصل بينهما[٢]. وعندما أراد الحصول على معلومات عن أوضاع الدولة العثمانية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأهم سلاطينها، وموقفها من الحرمين الشريفين، سأل أحد علماء المدينة ويدعى الشيخ علي[٣]، الذي أقام فيها عدة سنوات؛ وهدف ذلك الحصول على معلومات دقيقة[٤]. واعتمد المراد أبادي، أيضا في معلوماته على أشخاص شاهدوا بأم أعينهم أشياء محددة، وهو ما لم يشاهده بنفسه، منها على سبيل المثال لا الحصر عندما تحدث عن «المصحف العثماني»[٥] في الحرم النبوي، إذ أنه لم يتمكن من رؤيته، لكثرة المصلين والزحام الشديد في الحرم، فقد أخبره أحد الأشخاص «وكان قريباً من المصحف أنه رأى المصحف، وذكر بأنه مكتوب على الجلد بخط كوفي»[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص١٣.

(٢) المصدر السابق، ص٩٧.

(٣) لم نعثر على ترجمة حياته في الكتب المعتمدة في الدراسة، سوى المعلومات المذكورة في النص.

(٤) المصدر السابق، ص١١٦.

(٥) المصحف العثماني: هو الجمع الثاني للقرآن الكريم الذي تم في عهد عثمان بن عفان، حيث أنه جمع صحائفه وثبته ووحد رسمه، استناداً على لغة قريش، وقد أجمعت الأمة على هذا المصحف في سائر العصور. انظر: أكرم ضياء العمري، عصر الخلافة الراشدية، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ص٨٣-٨٤.

(٦) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٥.

ويتضح مما سبق، أن المراد أبادي اعتمد في معلوماته عن المدينة على مصادر متنوعة هي: المشاهدة والمعاينة للمواضيع المطروحة، ومصادر موثوقة، شاركت في الأحداث؛ وبالتالي فإن من شأن تلك المعلومات أن تعطي مصداقية عالية لتلك المعلومات.

أما المنهجية التي اتبعها المراد أبادي في التعامل مع المعلومات التي جمعها عن المدينة المنورة، فقد كانت تقوم على عدة معايير، منها عدم قبول تلك المعلومات على علتها، بل إخضاعها للنقد والتحليل والتجربة، ومن الأمثلة على ذلك حديثه عن الطريق ما بين مكة والمدينة، إذ أنه قال : «وكنت أسمع»، ولكن التجربة، من خلال سفره في هذا الطريق أثبتت عدم صحة ذلك(١).

كما أن المراد أبادي أورد معلومات مبنية على المعاينة والمخالطة والمجالسة والمصاحبة، وقد تجلى ذلك بوضوح عند حديثه عن علماء المدينة المنورة في أثناء زيارته لها، إذ أنه قسمهم إلى قسمين: الأول، أولئك الذين تعرف عليهم عن قرب والتقى بهم وجالسهم؛ وبالتالي فإن المعلومات التي قدمها عنهم في غاية الأهمية والدقة كونها مبنية على تلك الأسس، أما القسم الثاني من العلماء فهم ممن لم يختلط بهم ولم يكن قريباً منهم؛ وعلية فإن المعلومات عنهم كانت أقل أهمية من الفئة الأولى(٢).

ولجأ المراد أبادي في التعامل مع المعلومات على إبراز شخصيته العلمية والمنهجية الدقيقة التي تقوم على نقد الروايات ومقارنة بعضها مع بعض، ومن الأمثلة على ذلك حديثه عن الأبواء(٣)، إذ أنه يذكر أن «فيها قبر السيدة آمنة أم النبي ﷺ على

(١) المصدر السابق، ص٩٧.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٧.

(٣) الأبواء: قرية من أعمال الفرع في المدينة، تقع على الطريق إلى المدينة، نشأت على واد كبير من أودية الحجاز، اشتهر في مجال الزراعة، كما توجد به عدة أبار، يزرع فيه النخل والحمضيات. انظر: أحمد بن عبد الحميد العباسي (المتوفى في القرن العاشر الهجري/السادس عشر =

القول الصحيح»[١]، وهذا ما تؤكده المصادر والمراجع التاريخية[٢]. وعند حديثه عن المصحف العثماني، إذ يقول عنه «وهذا المصحف محفوظ في هذا المكان من عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، على القول الصحيح»[٣].

وصحح المراد أبادي معلومات أهل الصفراء[٤] عن وجود قبر فيها قيل أنه لأبي ذر الغفاري، وأكد على أن الأخير دفن في نواحي نجد، وأن القبر المذكور هو لعبيدة بن الحارث[٥].

كان المراد أبادي دقيقاً في إيراد المعلومات التاريخية المقرونة بالتاريخ، اليوم والشهر والسنة، وبخاصة عندما يتحدث عن تنقلاته من مسقط رأسه في الهند وصولاً

=

الميلادي)كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، ط٣، المدينة المنورة، الناشر أسعد درابزوني، د. ت، ص٢٥٠؛ عاتق بن غيث البلادي، معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج١، ص١٣-١٤.

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٢.

(٢) ياقوت الحموي(٥٧٤-٦٢٦هـ/ ١١٧٨-١٢٢٨م)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧، ج١، ص٧٩؛ العباسي، عمدة الأخبار، ص١٥١؛ البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٤٣-٤٥.

(٣) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية،، ص١١٤. هناك عدة آراء بشأن مصحف عثمان، أوردها جعفر إسماعيل البرزنجي، نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد سلم، المدينة المنورة، مكتبة الروعي للطباعة والنشر، د. ت، ص٢٠٤-٢٠٦.

(٤) الصفراء: واد من أكبر أودية الحجاز الغربية، يبدأ من على بعد ٥٤ كيلاً جنوب المدينة ويمتد لمسافة ١٤٢ كيلاً، ويمر بمجموعة من القرى كالخيف والحمراء وبدر، يكثر في الوادي زراعة النخل، ويقع في طريق الحاج، وكانت تكثر فيه العيون. انظر :الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٤١٢؛ العباسي، عمدة الأخبار، ص٢٣٥؛ البلادي، معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٩٩٢-٩٩٥.

(٥) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٣. تؤكد بعض المصادر والمراجع أن أبا ذر الغفاري دفن في الربذة انظر : الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٢٤-٢٥؛، العباسي، عمدة الأخبار، ص٢١٤؛ البلادي، معجم بلاد الحجاز، ص٩٩٤.

إلى المدينة المنورة، حيث أنه يصف تلك الطرق مقرونة بالتاريخ[١]، وعند حديثه عن وفيات بعض المشاهير من سكان الحجاز، والحال هنا الشريف سرور فإنه يذكر وفاته بدقة في ١٨ / ٣/ ١٢٠٢هـ/ ٢٨-١٢-١٧٨٧م[٢].

واهتم المراد أبادي بدقة بتحديد الأماكن التي زارها، والمسافات بينها، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما يتناول وصف الطريق من جدة إلى المدينة المنورة، يذكر أسماء المدن والقرى التي مر بها، ووصف آثارها، وأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية[٣].

قدم المراد أبادي وصفاً دقيقاً للمدينة المنورة، من حيث معالمها، والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فيه، إضافة إلى تقديم معلومات هامة عن حجاج بيت الله الحرام، وهذا ما سيتم توضيحه في الصفحات القادمة.

٢ -فئات المجتمع في المدينة المنورة ومناقبهم:

أورد المراد أبادي في رحلته إلى المدينة المنورة معلومات هامة عن فئات المجتمع فيها، إذ أنه قسمهم إلى فئتين: الأولى، السكان الأصليين والمجاورين ؛ والثانية هم فئة الحجاج والمعتمرين.

وفيما يتعلق بالسكان الأصليين، فقد أكد المراد أبادي على حقيقة مفادها أنه لم يبق في الحرمين الشريفين بعامة، والمدينة المنورة بخاصة، إلا القليل من سكانها الأصليين[٤]، وهذا ما تؤكده كتب الرحلات الإسلامية والغربية التي زارت المدينة

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية.
(٢) المصدر السابق، ص ١١٦.
(٣) المصدر السابق، ص١٠٣-١٣٥.
(٤) المصدر السابق، ص١٤٦.

المنورة خلال الفترة العثمانية(٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م) [١]. ومن العوامل التي ساعدت على ذلك أن موعد زيارته لمكة المكرمة والمدينة المنورة كان يترافق مع موسم الحج، حيث أن أعداد الحجاج كانت كبيرة، الأمر الذي من شأنه أن يظهر قلة أعداد السكان الأصليين مقارنة بالحجاج. وقد علق المراد أبادي على تلك الظاهرة بقوله: «لهذا لم يبق هنا (مكة المكرمة والمدينة المنورة)أي اعتبار للنسب، اللهم في أسرة الشريف وبقية سادة الحرمين»[٢].

ذكر المراد أبادي ثلاث فئات من السكان الأصليين في المدينة المنورة، وهم: الأشراف والسادة، والأنصار، والقبائل العربية. فالأشراف هم من ذرية الحسين بن علي بن أبي طالب[٣]، وأكد على قلة عددهم بقوله أنه «لم يبق في الوقت الحاضر من الأسرة الحسينية إلا نفر قليل». وكانوا قبل زيارة المراد أبادي إلى المدينة، بعدة سنوات، يتمتعون بنفوذ اقتصادي وسياسي كبير، لكن ممارسات البعض منهم السلبية داخل

---

(١) جون لويس بوركهارت، رحلات في شبه الجزيرة العرب، ترجمة عبد العزيز ألهلابي وعبد الرحمن الشيخ، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.، ص٣٤١، ١٦٨؛ رتشارد بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ص١٤٢-٤٥؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب، ص٤١٢؛ أحمد البوزيدي، «جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة والمدينة من خلال رحلة الحيوني في أواسط القرن الثالث عشر، التاسع عشر الميلادي»، دعوة الحق، عدد٣٥٧، س٤٢، شوال-وذي الحجة ١٤٢١هـ/ يناير-فبراير ٢٠٠١م، ص٥٦؛ محمد القاضي، رحلة الغيغائي الحجازية، التاريخ العربي، ع٣٨، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٦٩.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٦.

(٣) يؤكد النسابة علي بن الحسين بن شدقم(ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)، نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، د. ت، ص٥٠، على تلك الحقيقة، بقوله «أشراف المدينة كلهم حسينيون».

الحرم، من شرب القهوة والتدخين بالقرب من الحجرة الشريفة، اعتبر عملاً مخلاً بالحرم؛ فلذلك لجأت الدولة العثمانية إلى تقليص نفوذهم في تلك المجالات، وأخضعتهم لتبعية أشراف مكة المكرمة[١].

أما السادة، فهم من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب[٢]، وكان وجودهم في المدينة ملحوظاً، ويبدو أنهم كانوا منظمين تنظيماً جيداً، إذ أن المراد أبادي قد ذكر في رحلته منصب سيد السادة الذي كان يتولى مهام عديدة يقدمها لأفراد مجموعته، كان من بينها توزيع الصدقات التي تأتي من الدولة العثمانية أو البلاد الإسلامية عليهم[٣].

كما أشار المراد أبادي إلى وجود الأنصار في المدينة المنورة، وأنهم سكنوا في حي المناخة[٤] خارج أسوار المدينة وبالقرب من مصلى العيد، وقد تعرف عليهم[١].

---

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٦.

(٢) جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن اللغة التركية خليل علي مراد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص.

(٣) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٢٧، ١١٩. وعن منصب نقيب الأشراف في المدينة المنورة في فترة لاحقة، انظر: محمد بن يحيى المختار الولاتي (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)، الرحلة الحجازية، تحقيق محمد حجي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص١٩٦. وعن نقابة الأشراف في الدولة العثمانية وفي بعض الأقطار العربية كمصر والعراق والشام كان لهم تنظيمات دقيقة، يطلق عليها نقابة الأشراف. لمزيد من المعلومات، انظر: مراد صاريجك، نقابة الأشراف في الدولة العثمانية، ترجمة سهيل صابان، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

(٤) المناخة :حي من أحياء المدينة، ومعناه مكان إناخة الإبل، ويقع في الجهة الجنوبية الغربية من الحرم، وفيه مكان للصلاة العيد، حيث أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى فيه لمزيد من المعلومات عن هذا الحي، انظر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العربية، ص٣٤١-٣٥٣، ٣٤٢؛ رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١٢؛ ابن عبد السلام الدرعي (ت١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م)، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، إعداد حمد الجاسر، ط١، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.، ١٥٧-١٥٨؛ عاصم حمدان.

وفيما يتعلق بالفئة السكانية الثالثة، أي القبائل العربية، فقد ذكر المراد أبادي أنها سكنوا في المناطق المحيطة بالمدينة المنورة، وأن أنسابهم محفوظة، لا اختلاط فيها[٢]. وأنه قد أوكلت إليهم مهمة حماية القوافل التي تحمل حجاج بيت الله الحرام، في المناطق التي يسكنون بها، مقابل مبالغ مالية تدفع لهم من قبل الدولة العثمانية، وعليه فإن دورهم بالدرجة كان أمنياً[٣].

أما فئة المجاورين، فهم أبناء من هاجروا إلى الحرمين الشريفين منذ فترات مختلفة قد تطول أو تقصر، وهم من أصول إسلامية مختلفة، وإن كان أغلبهم من العرب، وقلة من العجم. كما أنهم على فئتين: الأحرار والعبيد[٤].

وفيما يتعلق بالمجاورين العرب في المدينة المنورة، فقد ذكر المراد أبادي، أن أصولهم تعود إلى اليمن وبخاصة من السادة الباعلويين[١]، وبين أنهم من

=

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٦. ولمزيد من المعلومات عن وجود الأنصار في المدينة، انظر: صادق باشا، محمد (١٢٩٩-١٣١٩هـ/ ١٨٨٢-١٩٠٢م)، نبذة استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها العسكرية، مطبعة عموم أركان حرب بديوان الجهادية، ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، في محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، إعداد محمد همام فكري، ط١، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٤٥. بوركهات، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٤١-٣٤٢، القاضي، رحلة الغيغائي، ص٣٦٩.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٧.

(٣) المصدر السابق، ص٧٦. ولمزيد من المعلومات عن القبائل العربية في المدينة المنورة، انظر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٤٤؛ رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١١١-١٢٥، ١١٢؛ ١٩٥-٢٣٤؛ ملخص رحلتي ابن عبد السلام، ص١٦٩-١٧٠؛ القط، على معتوق، الحجاز في القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، د. ت ص١٧٣-١٧٥.

(٤) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٦، ١٣١، ١١٩.

حضرموت[٢]، ويعيشون في المدينة المنورة منذ فترات طويلة، وأنهم على المذهب الشافعي[٣]، إضافة إلى فئات أخرى من المغرب، والعراق، ومصر، وطرابلس الغرب[٤].

أما المجاورين من الدول الإسلامية، فقد أولى المراد أبادي عناية خاصة للذين تعود أصولهم إلى الهند والسند؛ لجملة من الأسباب ؛ أهمها أنهم من بني جلدته، إضافة إلى أعدادهم الكبيرة في الحرمين الشريفين بعامة، والمدينة المنورة بخاصة، فهم يشكلون أعلى نسبة من المجاورين[٥]، وأغلبهم يتحدث الأردية، لكونها لغة العامة هناك، فيما كانت نسبة قليلة منهم تتحدث اللغة الفارسية، كونها لغة الأدب والعلم[٦].

=

(١) الباعلويون: فرع من العلويين الحضارمة، ينسبون إلى علوي بن عبد الله أحمد المهاجر، المتصل نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، وهم بيوت عديدة. لهم نشاط ديني وإنساني في مجال نشر الدعوة الإسلامية، إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة للطباعة والنشر، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٢٢هـ/ ١٩٨٤م، ص١١١٠.

(٢) حضرموت: منطقة واسعة تقع في الشرق الجنوبي في أرض اليمن ويشمل على مناطق كثيرة منها شبام، تريم وظفار، والشحر، والمكلا، ودوعن والمنطقة تشتهر بالزراعة. محمد بن أحمد الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات اليمنية، د. ت، ص ٢٦٦؛ أبو بكر بن بهرام الدمشقي (ت ١١٠٢ه/ ١٦٩٠مـ)، جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، ترجمة عن التركية وحققه مسعد بن سويلم الشامان، الرياض، مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص ١١٤-١١٧.

(٣) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص٢٨.

(٤) المصدر السابق، ص١٣٣، ١٢٦، ١٢٤، ١٢٢، ٢٣.

(٥) المصدر السابق، ص١٤٦، ١٣٠. أكدت معلومة أن أغلب المجاورين في المدينة المنورة من الهنود من قبل صادق باشا، محمد، نبذة استكشاف طريق الأرض الحجازية، ص٤٥.

(٦) نوح، الجزيرة العربية في الأدب الأردي، ص١٥٠.

وقسم المراد أبادي المجاورين الهنود من حيث دوافع هجرتهم إلى المدينة المنورة، إلى قسمين، الأول، الذين هاجروا من ديارهم لأسباب ودوافع دينية، أي أن الشوق والحنين لمدينة رسول الله ﷺ، هو السبب الرئيس للمجاورة فيها(١)؛ والثاني، وهم الذين هاجروا من ديارهم، لضيق الحال هناك، إذ أنهم واجهوا المصاعب والمتاعب، فلجئوا إلى المدينة هرباً من تلك الأحوال؛ ففي المدينة أخذوا يبحثون عن وسيلة للعيش، من خلال عمل بعضهم في المهن والحرف المختلفة، كالعمل في محلات البيع والشراء، أو في مجال الخدمات العامة، وبعضهم عاش فيها دون مهنة معتمدين على الاتكال، وطلب الحاجة من الآخرين(٢).

كما أشار المراد أبادي إلى وجود فئات من أصول تركية، وإن كان عددهم قليل، وقد تفرغوا للعبادة والطاعة(٣). إضافة إلى وجود فئة من المجاورين من أصول حبشية، قد عملت في مجال الخدمة في الحرم النبوي(٤).

كانت الفئة الثالثة التي تواجدت في المدينة المنورة في أثناء رحلة المراد أبادي إليها، فهم حجاج بيت الله الحرام، الذين قدموا إلى المدينة، فكانوا من بلاد الشام، وتركيا، ومصر، والمغرب العربي، واليمن، والعراق وكردستان، والتكرور(٥)، والهنود، الذين كانوا يشكلون أغلب هؤلاء الحجاج.

---

(١) لمزيد من المعلومات عن أدبيات الشوق والحنين الديني للمدينة المنورة عند المسلمين، انظر: حسن جلاب، أدبيات الشوق إلى البقاع المقدسة، دعوة الحق، ع٣٥٧، س٤٢، شوال-ذو القعدة -ذو الحجة، ١٤٢١هـ/ يناير -فبراير، ٢٠٠١م، ص٢٤-٤٦.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٣١. لمزيد من المعلومات عن المسلمين الهنود في المدينة المنورة، انظر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٤٣.

(٣) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ، ص١١٤. ؛ انظر أيضاً :رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١٤٢-١٤٣

(٤) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية،، ص١١٤.

(٥) التكرور: أصلهم من وسط وغرب أفريقيا، تواجدوا في الحرمين منذ فترات مبكرة، وعملوا في =

من الأهمية بمكان تقييم المعلومات التي أوردها المراد أبادي عن الفئات الاجتماعية في المدينة المنورة في أثناء زيارته لها، ومقارنتها بمثيلاتها في المصادر والمراجع الحديثة التي تناولت الفترة بين عامي ٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م، ولعل أهم ما يلفت النظر فيها أنها كانت معلومات قيمة جداً، ومفصلة عن الأشراف والسادة من حيث وجودهم في المدينة، ونفوذهم، وتنظيمهم[١]؛ إضافة إلى المجاورين من حيث أصولهم، وسماتهم الاجتماعية، مع التركيز على الهنود منهم كونهم من أبناء جلدتهم، وهؤلاء لم يسبق أن تناولتهم المصادر التاريخية المعاصرة لفترة الرحلة، أي الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م) بالشكل الذي تناوله المراد أبادي في رحلته[٢].

=

مهن مختلفة من بينها الأعمال العامة، والخدمات، وبعضهم امتهن مهنة التسول. انظر: القاضي، رحلة الغيغائي، ص٣٧٠.

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص٩٤-١٣٠، ٩٦. لمزيد من المعلومات عن هذه الفئة انظر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٥١.

(٢) لم يعثر الباحث في المصادر التاريخية الهامة، المذكورة أدناه، و التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م)، على معلومات مماثلة لتلك التي أوردها المراد أبادي عن السادة والأشراف والمجاورين الهنود انظر: العباسي، عمدة الأخبار في مدينة المختار؛ ابن كبريت، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، جزءان؛ عمر بن عبد السلام الداغستاني(ت١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م)، اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة، تحقيق عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ط١، القاهرة، مكتبة زهاء الشرق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م؛ نفسه، تحفة الدهر ونفحة الزهر، مخطوط مكتبة الصافي، رقم ١٥٣؛ عبد الرحمن الأنصاري (١١٢٤-١١٩٥هـ/ ١٧١٢-١٧٨٠م)، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، ط١، تونس، المطبعة العتيقة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م؛ علي بن موسى، وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، في رسائل في تاريخ المدينة، إشراف حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص١-٨١، المرادي، (عبدالمجيد بن علي الزبادي) (ت ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م)، بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، تحقيق محمد زينهم، =

وكما أن ذلك الأمر ينطبق على الدراسات الحديثة التي ألفت عن المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ) بعامة، والحياة الاجتماعية بخاصة، خلال تلك الفترة، التي لم تورد مثل تلك المعلومات التي أوردها المراد أبادي من حيث نوعيتها وتفصيلاتها، ولو أن مثل هذه المعلومات تمت الاستفادة منها لأضافت لتلك الدراسات معلومات قيمة وهامة، وجديدة عن تلك المجالات(١).

وفيما يتعلق بمناقب الفئات الاجتماعية التي تواجدت في المدينة المنورة في أثناء رحلة المراد أبادي، فمن خلال المعلومات المتوافرة في الرحلة، يمكن تناول تلك المناقب من خلال عدة محاور، هي: سكان المدينة من الحضر والبادية، وحجاج بيت الله الحرام. وفيما يتعلق بمناقب أهل الحرمين الشريفين، فقد أشاد بأخلاقهم حتى

=

ط١، القاهرة، الدار الثقافية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م؛ بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١٣٩-١٦٠؛ بوركهارت، رحلات في شبه الجزيرة العرب، ص٣٠٢-٣٥٤؛ ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي، ص١٥٧-١٧٠؛ القاضي، رحلة أبي مدين الدرعي الصغير الحجازية، ص٣٠٢-٣١٥؛ البوزيدي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادي، ص٥٤-٥٦؛ القاضي، رحلة الغيغائي الحجازية، ص٣٥٧-٣٧٤.

(١) من الأمثلة على الدراسات الحديثة التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ)ولم يعثر فيها على معلومات مماثلة لما أورده المراد أبادي، عن فئات الأشراف والسادة والمجاورين من الهند، انظر: نهلة شحات عمر محبت، الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن حكم العثمانيين ما بين عامي (٩٢٣-١١٥٧هـ/ ١٥١٧-١٧٤٤م)، رسالة ماجستير غير منشورة، المدينة المنورة، كلية التربية للبنات، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ص٣٠٠-٣٨٠؛ هيا عبد المحسن البابطين، ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة زمن العثمانيين ٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧-١٩١٦م، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، س٨، ع، ١٤٢٥، ١٦هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١٦-١٦٢؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص٤٠٤-٤٠٧؛ بشاوري، إمارة الشريف غالب بن مساعد، ص٩٦-١١٣؛ القط، الحجاز في القرن الثامن عشر، ١٥-١٧٢.

شبههم بأنهم «مثل المغناطيس، يجذب القلوب، بحسن خلقهم، ومودتهم، وصدق مشاعرهم، وهي أمور تنسي الغريب داره، وتنسي المسافر عياله» [١].

أما أهل المدينة المنورة فقد أشاد الرحالة المراد أبادي بكرمهم وبأخلاقهم الحميدة، بالرغم من أن معظمهم لم يكونوا من ميسوري الحال، وإن كان بمقدورهم توفير طعامهم وشرابهم، ولديهم قناعة بما يحصلون عليه «ولا يظهرون لأحد ضيق اليد، ولا يشتكون قلة معيشتهم». وقد علل ذلك بأنه من أثر دعاء الرسول ﷺ لأهل المدينة بالبركة في مأكلهم ومشربهم وأموالهم[٢].

كما أكد المراد أبادي على أخلاق أهل المدينة الحسنة، بقوله: «وجميع سكانها يتخلقون بحسن الخلق، ويتصفون بطلاقة الوجه، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم». وأرجع ذلك إلى كونهم جيران رسول الله ﷺ، صاحب الأخلاق الحميدة[٣].

لم يقتصر المراد أبادي في وصف مناقب أهل الحاضرة في المدينة المنورة، بل أمتد أيضا إلى القبائل العربية التي كانت تقطن حول الحرمين الشريفين، إذ وصفها بأنها «لا تتوانى عن عمل الخير، والأعمال الحسنة، وإتباع التقاليد والعادات العربية التي تتمسك بها منذ الأزمنة البعيدة، فلا تزال القبائل العربية تحتفي بالضيف، وتكرمه، وحكايات الأعراب والبدو الذين يقطنون على الطريق الواصلة من مكة إلى المدينة، وإكرامهم للغرباء والمساكين والهنود معروفة، ومشهورة» [٤].

---

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٥٠.

(٢) المصدر السابق، ص١٣٠.

(٣) المصدر نفسه. لمزيد من المعلومات عن أخلاق أهل المدينة ومكارمهم، انظر: جلبي، الرحلة الحجازية، ص١١٤؛ الحسن بن محمد الغسال (ت ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، الرحلة الطنجوية الممزوجة بالمناسك المالكية، تحقيق محمد علي فهيم، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م، ص١٠٠؛ باش أعيان، الفتوحات الكوازية إلى الأراضي الحجازية، ص٤٤؛ صادق باشا، كوكب الحج، ص٢٢٢.

(٤) الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص ١٤٨.

وأشاد المراد أبادي بالالتزام الديني للقبائل العربية، إذ أن السكان في قريتي الصفراء وبدر[١] كانوا يلتزمون بأداء الصلاة، وشاهد فيها «مساجد تعمر بالمصلين، كما يلتزم معظم أهلها بأداء الصلاة، ويعلمون أولادهم الفقه» [٢]. كما دأبت القبائل على الالتزام بتأدية الزكاة، واعتبروا أن التقاعس عن ذلك من شأنه أن يهدر أموالهم. وأضاف إلى مناقبها ميزة أخرى، وهي أنه «قل أن يوجد بينهم فاسق أو فاسد» [٣].

أما الفئة الثانية من الفئات التي كانت تقيم في المدينة المنورة أثناء رحلة المراد أبادي إليها فهم حجاج بيت الله الحرام الذين قدموا من مختلف بقاع العالم الإسلامي، حيث يأتون إلى الأماكن المقدسة «بهمة عالية، وحماس منقطع النظير»، وترى فئة منهم أن زيارة المسجد النبوي ضرورة لأداء مناسك الحج. ويعلق المراد أبادي على ذلك الرأي بقوله بأنه ليس من متطلبات الحج[٤].

وأشاد المراد أبادي بكرم الحجاج التركمان، إذ أنهم ينفقون أموالاً طائلة في سبيل الله، وقبل عودتهم إلى ديارهم فإنهم يتبرعون بكل ما زاد عن حاجتهم للفقراء «فإذا ما عاد هؤلاء الحجاج إلى ديارهم سالمين، أرسلوا الهدايا إلى من ربطتهم بهم علاقة صداقة أثناء سفرهم في الحج، وقد يرسلون تلك الهدايا كل عام» [٥].

وشبه المراد أبادي حجاج التكرور، بأنهم كثر كأسراب الجراد، وأن أغلبهم من الفقراء «والأمر العجيب أنه لا يرى فيهم جاهل، وأكثرهم متعلمون يعرفون

---

(١) بدر: أحدى القرى المحيطة بالمدينة المنورة، وتبعد عنها نحو ١٥٠ كيلاً، و تقع أسفل وادي الصفراء من الجهة الجنوبية الغربية، كان فيها عين جارية تزرع فيها النخيل. وقعت فيها معركة بدر الشهيرة في السنة الثاني للهجرة. انظر: البلادي، معجم معالم الحجاز، ج١، ص١٧٧.

(٢) الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٧-١٤٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق، ص٩٤.

(٥) المصدر نفسه.

القراءة والكتابة، كما أنهم متمسكون وملتزمون بأمور الدين، ومتقيدون بأركان الإسلام» [١].

ومن خلال تقييم تلك المعلومات، يتضح أن المراد أبادي قد تميز بذكر معلومات وتفاصيل هامة عن مناقب أهل المدينة من الحضر والبادية والحجاج الذين قدموا إليها، لم ترد في المصادر التاريخية التي تناولت الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ)[٢]، والدراسات العلمية الحديثة في الفترة نفسها[٣]. إضافة إلى ما سبق فإن المراد أبادي في وصفه لمناقب القبائل العربية كان منصفا لهم، فذكر صفاتهم الايجابية،

(١) المصدر السابق، ص٩٤-٩٥.

(٢) لم يعثر الباحث في المصادر التاريخية الهامة، المذكورة أدناه، و التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م)، على معلومات مماثلة لتلك التي أوردها المراد أبادي عن مناقب أهل المدينة وصفاتهم، انظر: العباسي، عمدة الأخبار في مدينة المختار؛ ابن كبريت، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، جزءان؛ الداغستاني، اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة، ؛ نفسه، تحفة الدهر ونفحة الزهر؛ الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب؛ أبن موسى، وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص١-٨١؛ بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٣٠٠-٣٥٦؛ بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١٣٩-١٦٠؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب، ص٤٠٦، ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص١٥٧-١٧٠؛ القاضي، رحلة أبي مدين الدرعي الحجازية، ص٣٠٢-٣١٦؛ البوزيدي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص٥٤-٥٦؛ القاضي، رحلة الغيغائي الحجازية، ص٣٥٧-٣٧٠.

(٣) من الأمثلة على الدراسات الحديثة التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ)ولم يعثر فيها على معلومات مماثلة لما أورده المراد أبادي، عن مناقب أهل المدينة وصفاتهم، انظر: محبت، الحياة الاجتماعية في ولاية الحجاز زمن حكم العثمانيين، ص٢٤٣-٢٨٠؛ القط، الحجاز في القرن الثامن عشر، ص١٥١-١٧٥؛ سامية محمد بشاوري، إمارة الشريف غالب ين مساعد في مكة ١٢٠٢-١٢٢٨هـ الموافق ١٧٨٧-١٨١٢م، جامعة الملك سعود، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٤م، ص٩٦-١٠٤.

مع إيراد بعض التصرفات السلبية لهم، في أثناء تأديتهم لمناسك الحج والعمرة، مثل قلة انتظامهم وتكدسهم فوق بعضهم البعض في السعي والطواف، وهذا الأمر لم يكن موجوداً في أغلب الرحلات العربية والغربية التي أغرقت في ذكر مثالبهم، واتهمت بإثارة الفوضى والاضطرابات في الحجاز، وسطوهم على القوافل، وابتعدت عن مناقبهم[(١)].

٣ -العادات والتقاليد:

اتسم مجتمع المدينة المنورة على مر العصور بعامة، وبداية القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، وهي الفترة التي زار فيها المراد أبادي المدينة المنورة، بتعدد وتنوع أصول سكانه، وتنوع أنماط معيشتهم؛ وبالتالي التنوع في حضارتهم وثقافتهم ؛ لذلك جاءت العادات والتقاليد لتمثل ذلك الواقع، ويمكن حصرها بما يأتي:

أ - العادات المتبعة في إمامة الصلاة وخطب الجمعة:

وفيما يتعلق بالعادات الاجتماعية، ذات الطابع الديني، فقد تحدث المراد أبادي عن إمامة الصلاة في المسجد النبوي وأنها كانت تتم بالمداورة ما بين أئمة الحرم، فذكر

(١) انظر على سبيل المثال لا الحصر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٣٠٠-٣٥٦؛ بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١١١-١٢٥، ١١٢؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب، ص٤٠٧، ملخص رحلتي ابن عبدالسلام، ص١٦٩-١٧٠؛ القاضي، رحلة أبي مدين الدرعي الحجازية، ص٣٠٢-٣١٦؛ البوزيدي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص٥٤-٥٦؛ القاضي، رحلة الغيغائي الحجازية، ص٣٦٨؛ محمد صادق باشا، كوكب الحج:في سفر المحمل بحراً «وسيره براً»، بولاق، المطبعة الأميرية، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، في محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، ٢٢٠-٢٢١؛ نفسه، دليل الحج: للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، بولاق، المطبعة الكبرى، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م، ص٣٧٤-٣٧٨.

من بينهم الشيخ السيد زين العابدين[١]، أنه عندما كان يأتي دوره في الإمامة فإنه يثير الناس إذا ما تلا القرآن الكريم لجمال صوته[٢].

قدم المراد أبادي في رحلته وصفاً دقيقاً لخطبة الجمعة في الحرم النبوي، فذكر أن الخطيب كلما ذكر الرسول ﷺ توجه بنظره إلى الحجرة النبوية الشريفة، ويقول: «أشهد أن هذا محمد رسول الله»، وأحياناً أخرى يتوجه إليها، قائلاً «هكذا قال النبي صاحب هذا القبر المعطر». الأمر الذي كان من شأنه إثارة مشاعر المصلين، إذ أنهم قد أخذوا يتخيلون : «... صورته المباركة، وهو يشرف المنبر بالصعود إليه، بينما المهاجرون والأنصار يجلسون إمامة، وينصتون إليه، رؤوسهم منخفضة، يستمعون إلى ما يقول من أحكام ومسلك، يرغبهم عليه الصلاة والسلام في طاعة الله عز وجل، ويبن لهم الحلال والحرام...» [٣].

لقد أوضح المراد أبادي أن مواضيع خطب الجمعة في المسجد النبوي، كانت تختلف من جمعة لأخرى، حسب الظروف، والأحوال، والمواسم، والشهور؛ كرمضان، وأيام الحج، ووقوع الأحداث في الحجاز أو في الدولة العثمانية. وكان من الطبيعي أن تشتمل الخطبة على «ذكر اسم السلطان، واسم شريف مكة في خطبة الجمعة، وهو يذكر بالعبارة الآتية :اللهم أصلح أمير المدينة... ». وتلك الأمور بمجملها كانت محط اهتمام وعناية الخطباء. وكانت لخطبة الجمعة معايير هامة معروفة بين العلماء والعامة في المدينة المنورة، من بينها أن لا تكون مقروءة من ورقة، وخلاف

(١) السيد زين العابدين البرزنجي :أصله من العراق، ولد عام ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، من علماء المدينة المنورة، برز في مجال العلوم الدينية بعامة وعلوم الحديث بخاصة. وكان يؤم الناس في المسجد الحرام. انظر: المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٢٦؛ الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ص٨٩.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٢٦.

(٣) المصدر السابق، ص١١٠.

ذلك فإنه يعد عيباً. وكان من الطبيعي أن تركز الخطبة على ذكر بيت الله الحرام، ومناقب رسول الله ﷺ، ومحاكاة الواقع؛ ولتلك الأمور وصف خطباء الحرم بالبراعة، الأمر الذي كان من شأنه أن لا «يشعر المصلون بالملل أثناء سماعهم الخطبة، بل يتوجهون بقلوبهم إلى الاستماع إلى الخطب، بسرور ولذة، رغم أن معظم الخطباء يطيلون في الخطبة ؛ وذلك لأنهم يمتلكون: جمال الصوت، وطلاقة اللسان، والبلاغة، وفصاحة البيان» [١].

وكان من العادات المتبعة عند القائمين على الحرم النبوي، أن يكون بمثابة منبر إعلامي لعرض التطورات السياسية والعسكرية في الحجاز بعامة، والدولة العثمانية بخاصة؛ إذ أن المراد أبادي قد أورد معلومات قيمة عن هذا الأمر، ففي أثناء زيارته للمدينة، وصل خطاباً من السلطان عبد الحميد خان (١١٨٧-١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤ - ١٧٨٩م)[٢] موجهاً إلى سكان الحرمين، يفيد بأن الدولة العثمانية قد تعرضت لاعتداءات خارجية من قبل من أسماهم «كفار بني الأصفر»، وأن من واجب المسلمين الدعوة لنصرة الإسلام، وهزيمة أعدائه. وقد تلي ذلك الخطاب بحضور علماء المدينة وأعيانها، في الحرم النبوي؛ وذلك في أعقاب إحدى الصلوات، حيث قرأت سورة الفتح: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[٣]، ودعا الحاضرون، وهم متوجهون إلى

---

(١) المصدر السابق، ص١١٠-١١٨، ١١١.

(٢) السلطان عبد الحميد خان: يعد من أهم السلاطين العثمانيين، كان من المهتمين بالعلم والعلماء بعامة، والتاريخ بخاصة، قام بحركات إصلاحية في الدولة العثمانية، خاض في فترة حكمه حروب خارجية مع إيران وروسيا. لقب بالغازي لأنه انتصر على ألمانيا عام ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٨م. انظر:، عبد القادر د ه ده أوغلو، السلاطين العثمانيون، ترجمه محمد خان، استانبول، الدار العثمانية للنشر، د. ت، ص٧٣.

(٣) القرآن الكريم، سورة الفتح، آية ١.

الحجرة الشريفة، الله عز وجل بالنصر والعزة للدولة العثمانية على أعدائها. وقد تكرر مثل ذلك الأمر في أيام: الاثنين، والخميس[١].

وفي مثل تلك الظروف، كان من عادة أهل المدينة أن يؤتى بالمصحف العثماني، وتقرأ منه سورة الفتح، ويتم في أعقاب ذلك ختم قراءة صحيح البخاري، إذ يدعوا الحضور الله عز وجل لنصرة المسلمين وهزيمة أعدائهم، ثم يقوم خطيب المسجد النبوي بالدعاء «دعاء بليغاً فصيحاً جامعاً... فشاهدت من الأمور العجيبة والأحوال الغريبة ما لم أره في حياتي... »[٢].

ب - الاهتمام بنظافة وكنس الحجرة النبوية:

كان من عادات أهل المدينة المنورة، وسلاطين الدولة العثمانية الاهتمام الكبير بنظافة الحجرة النبوية الشريفة وكنسها، إذ أنهم كانوا يتسابقون للقيام بهذا الشرف، فقد أورد المراد أبادي، تفاصيل هامة تدل على ذلك، لا سيما نظافتها، وإنارة وقناديلها، فذكر أنه وجد في الحرم النبوي سجلاً بالديوان المخصص لمن يقوم بتلك المهام، كان من بينها أسماء سلاطين الدولة العثمانية، الذين اعتبروا أنفسهم على رأس الأسماء المسجلة في السجل لنظافة الحجرة والاعتناء بها، وقد أنابوا عنهم للقيام بتلك المهمة لمشايخ الحرم، الذين يكونون أول من يبدأ بتنظيفها وكنسها وإضاءة قناديلها، ثم يأتي بعد ذلك الخدم لإكمال تلك المهمة. لقد أشاد المراد أبادي باهتمام سلاطين الدولة العثمانية بالحجرة النبوية وبنظافتها، وأنهم يفتخرون بذلك السجل الذي يدون فيه أسماء من يتولى خدمة تلك الحجرة «أيما فخر»، لكونهم من القائمين على نظافتها وإنارتها[٣].

---

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر السابق، ص١١٨. هناك وصف آخر يختلف عما ذكر سابقاً يعود لعام ١٠٨٢هـ/
=

ج - العادات الاجتماعية المتعلقة بالمواليد والوفيات:

أورد المراد أبادي معلومات هامة متعلقة بعادات أهل المدينة المنورة فيما يتعلق بالمواليد والوفيات، إذ يذكر أنه انتشرت بينهم عادة في حالة المواليد الجديدة أن تحضر الأم مولدوها الجديد إلى الحرم النبوي بعد أن يبلغ الأربعين يوماً من عمره، وفي أحد أيام الخميس، فيقوم أحد خدمة الحرم النبوي بوضعه داخل الحجرة النبوية «فيقف قبالة وجهه الشريف ﷺ، ويدعو للطفل بأن يبارك الله في عمره، وأن يجعل أعماله صالحة لوجه الله» [(١)]. وقد أكدت بعض المصادر التاريخية المتعلقة بالمدينة المنورة على صحة تلك المعلومات التي أوردها المراد أبادي[(٢)] وأنها بقيت تمارس في أواخر القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، واستمرت إلى بداية العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري/ العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي[(٣)].

وفي حالات الوفيات، كان أهل المدينة يحضرون الجنائز، أمام قبر الرسول ﷺ، وفي الجهة المقابلة لوجهه الشريف، وهناك يدعى للميت، ثم يصلى عليه في المسجد النبوي، ليوارى الثرى في مقبرة البقيع[(٤)] (١١١). ونظراً لجلال الموقف وعظمة الأجر

=

١٦٧١م أورده: أوليا جلبي، الرحلة الحجازية، ترجمه عن التركية الصفصافي أحمد المرسي، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص١٣-١٣١.

(١) المصدر السابق، ص١١٤.

(٢) جعفر بن إسماعيل البرزنجي (١٢٥٠- وفاته بعد١٢٨٧ هـ/ ١٨٣٤- وفاته بعد ١٨٨٧م)، نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد سويلم، المدينة المنورة، مكتبة الرفاعي، د. ت، ص٢٠٩-٢١٠.

(٣) الدهلوي، خواجه حسن(١٢٩٦ - ١٣٧٤ / ١٨٧٩- ١٩٥٥م)، رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي في مصر وفلسطين والشام والحجاز(١٩١١)، ترجمة وتعليق سمير عبدالحميد إبراهيم، ط١، القاهرة، المشروع القومي للترجمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص٢٦٢.

(٤) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٤. ولمزيد من المعلومات عن الإجراءات

=

الذي يناله المتوفى، فإن المراد أبادي، قد شهد جنازة لأحد الموتى، واغتبط قائلاً : «ليتني كنت مكانك» [١].

وفي حالة وصول خبر بوفاة أحدى الشخصيات الهامة في الحجاز كان يعلن في المدينة بأن «فلان ابن فلان انتقل إلى رحمة الله في المدينة الفلانية، فصلوا عليه صلاة الجنازة، أثاباكم الله» [٢]، والمثال هنا وفاة الشريف سرور بن مساعد بمكة المكرمة في ١٨ ربيع الثاني ١٢٠٢هـ/ ٢٨ ذو الحجة ١٧٨٧م، فلما وصل خبر وفاته إلى المدينة المنورة، صعد خطيب الجمعة في الحرم النبوي إلى المنبر «وافتتح خطبته بذكر دوام الله، وفناء أهل الدنيا، وزوال سلطانهم»؛ الأمر الذي كان من شأنه أن يترك أثراً طيباً في نفوس المصلين، فصلي عليه صلاة الغائب بعد الانتهاء من صلاة الجمعة[٣].

د -عادة زيارة الحجرة الشريفة والبقيع وشهداء أحد والمساجد في المدينة

كان من عادات أهل المدينة والحجاج المتواجدين فيها زيارة الحجرة الشريفة والبقيع وشهداء أحد، ومساجد المدينة المنورة المشهورة. حظيت الحجرة النبوية الشريفة باهتمام المراد أبادي، فأشار إلى أهمية دخولها، وأنه عندما أقترب من قبر الرسول ﷺ، دعا الله عز وجل بالتوفيق وأن لا يحوجه «بعد هذا إلى الوقوف عند باب مخلوق من خلقك، لقضاء حاجة، أو طلب شيء، واجعلني في حمايتك، ووفقني لذكر الآخرة» [٤].

=

التي تتبع في حالة الوفاة. انظر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٥٧-، ٣٦٤، ٣٥٨؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب، ص٤٣٨-٤٣٩. ومقبرة البقيع: هي مقبرة أهل المدينة، وتقع قرب المسجد النبوي في الجهة الشرقية، فيها قبور الصحابة، وأهل بيت رسول اللهﷺ. انظر: البلادي، معالم الحجاز، ص٢٢٥-٢٢٦.

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٤.

(٢) المصدر السابق، ص١١٦-١١٧.

(٣) المصدر السابق، ص١٠٨.

(٤) المصدر السابق، ص١١٥.

أما عن عادة أهل المدينة المنورة في حالة تعرضهم لمصائب ونوازل ألمت بهم؛ كالقحوط والأمراض والمظالم، أن يحضر علماء المدينة وأعيانها إلى الحجرة النبوية الشريفة، وأن يقفوا قبالة وجهه الشريف، فيدعون الله عز وجل أن يزيل عنهم البلاء والمحن التي أصابتهم[١].

ومن العادات المتبعة عند الحجاج والمعتمرين المتواجدين في المدينة، أن يقوموا بزيارة مقبرة البقيع، المتعارف عليها بين الهنود باسم «جنة البقيع»، والتي اشتملت على مقابر أهل بيت رسول ﷺ وصحابته والتابعين، إضافة إلى زيارة «شهداء أحد»، ومساجد المدينة بعامة وقباء[٢] بخاصة[٣].

هـ - عادات اجتماعية أخرى:

رصد المراد أبادي في رحلته العديد من العادات الاجتماعية في المدينة المنورة، من بينها إقامة الولائم بين فئات مختلفة من السكان، و التنزه في حدائق المدينة، وبعض الاحتفالات عند تعيين الشريف الجديد في مكة، وسلوك أهل المدينة في حالة تعرضهم للمصاعب والنوازل، والرقية والتعاويذ، والتعليم في الحرم النبوي، وختان الشباب في المدينة.

ففيما يتعلق بعادة إقامة الولائم، فقد ذكر المراد أبادي أن بعض العلماء كان يقيم الولائم لأقرانه من العلماء، ومن هؤلاء الشيخ سالم المالكي[٤]، الذي أقام مأدبة

---

(١) المصدر السابق، ص١١٤.

(٢) مسجد قباء: يقع مسجد قباء في الجنوب الغربي من المدينة المنورة وعلى بعد ٦ أكيال من المسجد النبوي، بني على يدي الرسول ﷺ، وهو بذلك أول مسجد أسس في المدينة، بل يعد أول مسجد بني في الإسلام. انظر: عبد القدوس الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ط٥، الرياض، كتاب المنهل، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص٧٧-٨٠؛ البلادي، معجم معالم الحجاز، ص٧٥، ١٣٤٧.

(٣) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٠٨. انظر أيضاً: الدهلوي، رحلة خواجة حسن نظامي، ص٢٧٣-٢٧٦.

(٤) الشيخ سالم المالكي: لم أعثر على ترجمة له سوى أنه من أعيان المدينة ومشايخها. انظر: المصدر =

لمجموعة من علماء المدينة، وكان المراد أبادي من بين المدعوين[١]. كما انتشرت بين تلك الفئة عادة استضافت بعضهم البعض، حيث أن الأخير استضيف لمدة طويلة من قبل ذلك الشيخ[٢]. ومما لا شك فيه أنتلك العادات تنم عن الكرم وحسن الأخلاق والاحترام والتقدير من المدنيين لغيرهم من زوار المدينة.

أما وسائل الاستجمام عند أهل المدينة، فقد ذكر المراد أبادي في رحلته انتشار الحدائق في المدينة المنورة، وبخاصة المناطق المحيطة بالحرم إذ تتواجد فيها المياه من الجداول والآبار، حيث تنتشر في أرجائها البساتين والمزارع والحدائق، فغدت أماكن للتنزه والفسحة والاستجمام في المدينة المنورة. ومن المناطق التي أشار إليها في ذلك المجال المنطقة الممتدة ما بين المسجد النبوي ومسجد قباء، بحيث غدت تلك المنطقة «مساحة خضراء واسعة»، ووصفها بأنه «لا يوجد في المدينة أطيب من هذا المكان للنزهة والفساحة» [٣]. كما تحدث المراد أبادي عن حديقة أخرى في المدينة، وهي التي تحيط ببئر أبي أيوب الأنصاري[٤]، فذكر أنه كان يتنزه فيها، ويتفرج على مزارعها[٥].

=

السابق، ص١٢٨.

(١) المصدر نفسه. لمزيد من المعلومات عم عادة إقامة الولائم في المدينة، انظر: باش أعيان، الفتوحات الكوازية، ص ٤٦؛ صادق باشا، دليل الحج، ص٣٩٠، ٣٩٧.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ص١٢٧.

(٤) بئر أبي أيوب الأنصاري: بئر تنسب إلى أبي أيوب الأنصاري، الذي نزل عنده الرسول ﷺ عندما قدم إلى المدينة المنورة، ويقع بشرقي محلة الرومية، وهي بشمالي البقيع، ويحيط به حديقة صغيرة. انظر: الأنصاري، آثار المدينة المنورة، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٥) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٦. ولمزيد من المعلومات حول الحدائق في المدينة المنورة، انظر: جلبي، الرحلة الحجازية، ص١٤٦-١٤٧، ١٥٤؛ الغسال، الرحلة الطنجوية، ص٩٥-٩٦؛ بوركهارت، رحلات في جزيرة العرب، ص٣٢٨-٣٣٢، ٣٣٨- ٣٣٩، دولتشين، الرحلة السرية للعقيد الروسي عبدالعزيز دولتشين إلى الحجاز، ص٢٢٠-٢٢١.

ويلاحظ من الناحية الترفيهية والتنزه وجود حدائق تتوافر فيها المياه والزراعة، كان أهل المدينة يقضون أوقاتهم فيهم.

وتطرق المراد أبادي إلى ذكر نموذج واحد من الاحتفالات التي تجري في المدينة المنورة، ويتمثل في الاحتفال بتعيين الشريف غالب بن مساعد[١]، شريفاً جديداً على مكة، فتم الاحتفاء بهذا التعيين، إذ زينت المدينة المنورة بعامة، وسوقها بخاصة «واستمرت الزينات والأعلام عدة أيام احتفالاً باعتلاء الشريف الجديد العرش» [٢].

كما انتشرت بين سكان المدينة عادة الرقية والتعاويذ، إذ أن المراد أبادي يشير إلى انتشارها بشكل ملحوظ بين المجاورين المغاربة[٣]، وأنه قد تجمعت له الكثير من المعلومات عن هذا الموضوع، وكانت لديه رغبة في التعمق به واستيضاح صورته، وقد هم بهذا الأمر، لكنه عدل عنه ؛ وذلك «لأنه غاية هذا العلم كسب المنفعة الدنيوية، والسيطرة على أهل الدنيا، وخداعهم» [٤].

أورد المراد أبادي في رحلته إلى المدينة المنورة، عادة اجتماعية شاهدها عند أهل الحجاز، بما في ذلك المدينة المنورة، وهي «ختن الأطفال بعد سن البلوغ... »، وذكر أنها منتشرة وشائعة بكثرة[٥].

---

(١) الشريف غالب بن مساعد :تولى إمارة مكة المكرمة بين عامي ١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٨-١٨١٣م، يعتبر من أبرز الأشراف الذين تقلوا هذا المنصب، وهو جد أشراف آل غالب، وقد عاصر ظهور الدولة السعودية الأولى، وكانت وفاته عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. انظر: جارشلي، أشراف مكة المكرمة، ص١٩٣-٢٠١.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١٦-١١٧.

(٣) لمزيد من المعلومات عن المجاورين المغاربة في المدينة، انظر: محمد علي فهيم بيومي، المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

(٤) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٣٣.

(٥) المصدر السابق، ص٦٠.

وكان من العادات التي أشار إليها المراد أبادي في رحلته، شرب القهوة التي كانت سائدة بكثرة في المدينة المنورة، وكانت تشرب في أماكن مختلفة منها، بما في ذلك الحرم النبوي الشريف، إذ يذكر أن بعض أشراف المدينة المنورة قبل عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، «فكانوا يجلسون على كراسي، وضعوها داخل الحرم النبوي، بجوار المقصورة النبوية، يشربون القهوة »، لكن لم يستمر في ذلك الوضع طويلاً، حيث منعوا من القيام بذلك[١].

وفي المجال التعليمي، ذكر المراد أبادي أن من عادات أهل المدينة المنورة أن يرسلوا أولادهم إلى الحرم النبوي الشريف من أجل تعلم القرآن وحفظه. كما أن فئات مختلفة من سكانها، كانوا يواظبون على حضور المجالس العلمية المختلفة في الحرم[٢].

ومن الأهمية بمكان تقويم المعلومات التي أوردها المراد أبادي المتعلقة بالعادات الاجتماعية ومقارنتها بما أوردته المصادر التاريخية المعاصرة للفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ)، يمكن القول وبكل ثقة أن المعلومات التي أوردها المراد أبادي عن خطب أيام الجمع في الحرم، والتركيز على المواضيع ذات البعد السياسي، والعناية بالحجرة النبوية ونظافتها، ونعي الشخصيات السياسية في الحجاز والصلاة عليها في

---

(١) المصدر السابق، ص١١٧-١١٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٢٠-١٢١. لمزيد من المعلومات عن التعليم في الحرم، انظر: جلبي، الرحلة الحجازية، ص١٣٥-١٣٩؛ بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٢٣؛ بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١٥٧-١٥٩؛ ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي، ص١٦٣-١٦٨؛ ؛ الولاتي، الرحلة الحجازية، ص١٩٦؛ محمد علي فهيم بيومي، الحركة العلمية في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٧-٣٨بشاوري، إمارة الشريف غالب بن مساعد، ص١١٩-١٢١؛ القط، الحجاز في القرن الثامن عشر'ص١٦٨-١٧٢؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب، ص٤٨٥-٥٧٣.

المسجد النبوي، وختان الأطفال وهم في سن البلوغ، واحتفالات المدينة المنورة بتعيين الشريف الجديد في مكة، قد تفرد بها، ولم ترد في المصادر الأخرى بنوعيتها وتفاصيلها؛ وبذلك يمكن القول أنها في غاية الأهمية، ولا يستغني عنها في هذا المجال[١]. كما أن الدراسات الحديثة التي تناولت المواضيع الاجتماعية في المدينة المنورة خلال الفترة قيد البحث لم تشر إلى تلك المعلومات، ولو أنها استفادت منها لأضافت إليها الكثير من الأهمية[٢]. كما أن بعض العادات الاجتماعية التي أوردها المراد أبادي مثل عادة أخذ

(١) لم يعثر الباحث في المصادر التاريخية الهامة، المذكورة أدناه، و التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م)، على معلومات مماثلة لتلك التي أوردها المراد أبادي عن خطب أيام الجمع في الحرم، والتركيز على المواضيع ذات البعد السياسي، والعناية بالحجرة النبوية ونظافتها، ونعي الشخصيات السياسية في الحجاز والصلاة عليها في المسجد النبوي، وختان الأطفال وهم في سن البلوغ، واحتفالات المدينة المنورة بتعيين الشريف الجديد في مكة،، انظر: العباسي، عمدة الأخبار في مدينة المختار؛ ابن كبريت، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، جزءان؛ الداغستاني(، اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة، ؛ نفسه، تحفة الدهر ونفحة الزهر، ؛ الأنصاري، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، ؛ ابن موسى، وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ص١-٨١؛ بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٢٠٦-٣٥٤؛ بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص٢٨-١٣١؛ ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي، ص١٥٧-١٧٠؛ القاضي، رحلة الغيغائي الحجازية، ص٣٦٩-٣٧١؛ نفسه، رحلة أبي مدين الدرعي الحجازية، ص٣٠٢-٣١٦؛ البوزيدي، جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ص٥٤-٥٦.

(٢) من الأمثلة على الدراسات الحديثة التي تناولت الجوانب الاجتماعية في المدينة المنورة في الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ)ولم يعثر فيها على معلومات مماثلة لما أورده المراد أبادي، عن عن خطب أيام الجمع في الحرم، والتركيز على المواضيع ذات البعد السياسي، والعناية بالحجرة النبوية ونظافتها، ونعي الشخصيات السياسية في الحجاز والصلاة عليها في المسجد النبوي، وختان الأطفال وهم في سن البلوغ، واحتفالات المدينة المنورة بتعيين الشريف الجديد في مكة،، انظر: محبت، الحياة الاجتماعية في الحجاز، ص٣٠٠-٣٩٣؛ البابطين، ملامح من الحياة الاجتماعية في =

المواليد إلى الحجرة النبوية، وأماكن استجمام أهل المدينة في الحدائق، وعادة التعليم في الحرم النبوي قد أكدت عليها المصادر التاريخية الأخرى[١].

و - ملحوظات المراد أبادي النقدية على بعض الظواهر الاجتماعية في المدينة المنورة:

من سمات الكتابة التاريخية التي تميز بها المراد أبادي في رحلته أنه كان منصفاً، ولم يكن متحيزاً، فعلى الرغم من إشادته بمناقب أهل المدينة، ومحاسن أخلاقهم، لكنه في المقابل أنتقد بعض المظاهر الاجتماعية التي شاهدها في أثناء زيارته للمدينة المنورة، وتؤكد تلك الملحوظات على علميته ونقده الرصين، والهدف منها إيصال هو التخلص من تلك الممارسات.

من جملة الانتقادات الاجتماعية التي ركز عليها المراد أبادي في رحلته قلة استخدام اللغة العربية الفصحى بين بعض سكان المدينة، نتيجة الاختلاط بين فئات سكانية مختلفة من العرب والعجم، إذ يذكر أن اللغة الفصحى، قد أصيبت بالتحريف «فلم تعد اللغة التي تستخدم بين الناس اليوم تتوافق مع قواعد الصرف والنحو، ومن الضروري أن يبعث سيبويه من جديد، حتى يكتب من جديد قواعد اللغة على حسب ما تعود عليه الناس هنا». وقد علل أهل المدينة تلك الظاهرة، بأنه إذا لم يتم الحديث مع تلك الفئات من المسلمين غير العرب بغير العامية، فإنهم لن يفهموا ما يقال[٢].

=

المدينة المنورة، ص١٤٥-١٦٢؛ القط، الحجاز في القرن الثامن عشر، ص ١٥١-١٧٣؛ بشاوري، إمارة الشريف غالب بن مساعد، ص٩٦-١٢١؛ نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى، ص٤٠١-٤٨٥.

(١) البرزنجي، نزهة الناظرين، ص٢٠٩-٢١٠؛ بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص ٣٣٨، ٢٩٨، -٣٣٩؛ بيرتون، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ص١٠٩-١١١.

(٢) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١٤٦-١٤٧. عن هذه الظاهرة، انظر: بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٥٨.

ومن الممارسات التي انتقدها المراد أبادي عند بعض الفئات الاجتماعية في المدينة، وهم قلة، التي من شأنها أن تنكر محبة أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته، فدافع عنهم وأشاد بفضائلهم وخدماتهم للإسلام والمسلمين، واعتبر أن الفئات التي تقول بذلك هم عبارة عن «غافلين أو متغافلين عن أياديهم البيضاء»، ووصف هذا الأمر بأنه حالة يرثى لها، ويندى لها الجبين، وأنه «علينا أن نبكي على ما نحن فيه من أحوال سيئة، وطاعات غير صحيحة، وعبادات عاطلة، وأعمال فاسدة» [١].

لقد هاجم المراد أبادي تلك الممارسات من تلك الفئات ونبههم إلى أهمية وضرورة الالتفات إلى عيوبهم وإصلاح أنفسهم، وأورد بعض الأبيات الشعرية التي قالها جلال الدين الرومي، منها[٢]:

يا بني هؤلاء غافلون، فهم يذكرون عيوب الآخرين
إن شاء رب العباد أن يهتك ستر أحد رغبه في شتم الآخرين
وإن شاء أن يستر عيب أحد حجب عنه عيوب الآخرين
كل من وافق عمله الشيطان ساء ظنه حتى بالأقربين
وكل من رأى عيب نفسه لم يغفل مرة عن إصلاح نفسه

كما انتقد المراد أبادي، سلوكيات بعض الأشراف في المدينة المنورة عندما كانوا يشربون القهوة في الحرم النبوي بالقرب من الحجرة الشريفة، ووصف تلك الممارسات بأنها «هتك لحرمات الحرم الشريف». وعندما علمت الدولة العثمانية بهذا الأمر، أوقفت تلك التجاوزات، وقللت من صلاحياتهم، جراء ذلك[٣].

وانتقد المراد أبادي عادة أهل الحجاز، بما في ذلك المدينة المنورة، ختن الأطفال بعد سن البلوغ، وأبدى تأسفه وعجبه من رواج تلك العادة، كونها لا تتم وفق

---

(١) المراد أبادي، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية، ص١١١-١١٢.
(٢) المصدر السابق، ص١١٣.
(٣) المصدر السابق، ص١١٧-١١٨.

الأصول المرعية في هذا المجال، إذ أن تلك العملية يجب أن تتم في مرحلة مبكرة من عمر الطفل[١].

وانتقد المراد أبادي، بعض العادات الاجتماعية عند الحجاج والمعتمرين من الهند جراء ممارساتهم في الحرمين الشريفين، إذ غلب عليهم الفقر وضعف الحال، واتخذ بعضهم من التسول مهنة، حتى غدوا مضرب الأمثال في هذا المجال[٢]. كما انتقد حجاج إيران، وأشار إلى أنهم في أثناء حجهم لا يقيمون في المدينة، وأنهم يجتازون «المكان دون توقف مع القافلة التي جاء فيها، ولم يوفق أحدهم في مجاورة المدينة» [٣].

(١) المصدر السابق، ص٦٠.

(٢) المصدر السابق، ص٩٥-٩٦.

(٣) المصدر السابق، ص١٣٠.

الخلاصة:

يخلص الباحث، من خلال البحث المعنون بـ «ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م من خلال «الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية» للمراد أبادي»، إلى النتائج التالية:

- لقد توافرت في المراد أبادي مواصفات علمية مناسبة، أهلته بجدارة واقتدار لتناول موضوع تاريخ المدينة المنورة، وأهميتها ومكانتها الدينية، وأهم معالمها الدينية والتاريخية، وتناول أوضاعها الاجتماعية، بمهنية وحرفية عالية جداً، إذ أنه تعمق في دراسة العلوم الشرعية بعامة، وعلوم الحديث بخاصة، وألف العديد من المؤلفات فيهما. إضافة إلى مصادر معلوماته عن تلك المواضيع اتسمت بالتنوع والشمول لشتى أنواع المصادر؛ منها :المشاهدة، والسماع، والاستفسار من ذوي الاختصاص، والاستفادة من المصادر الدينية والتاريخية المختلفة، بحيث يمكن القول بكل ثقة أنه أحاط بها إحاطة مناسبة. كما أن منهجيته في التعامل مع تلك المعلومات تقوم على المنهج العلمي الذي يقوم على تمحيصها، وعدم القبول بها كما وصلته، بل يخضعها للتحليل والتفسير والتجربة، وترجيحها. ومن العوامل الأخرى التي جعلته يتسم بالدقة في معلوماته، أنه كان يجيد العديد من اللغات، في مقدمتها العربية والفارسية والأردية، الأمر الذي كان يؤهله للحصول على المعلومات من مصادر مختلفة من العرب والعجم. هذا إلى جانب أن إقامته في المدينة المنورة، لفترة تقرب من خمسة أشهر قد مكنته من جمع معلومات قيمة ودقيقة عنها، بعكس الرحالة الأجانب الذين لم تتح لهم مثل تلك الأمور.

- تناولت المعلومات الاجتماعية التي أوردها المراد أبادي في رحلته، عن المدينة المنورة، بعض الجوانب والملامح، كالفئات السكانية المختلفة، من السكان الأصليين والمجاورين، والحجاج والمعتمرين، ومناقبهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وأهم الانتقادات التي وجهت لهم في تلك المجالات. وقد أجاد في المعلومات التي أوردها عن تلك

المجالات، وإن لم تكن معلوماته شاملة لجل العادات والتقاليد التي كانت سائدة، إذ أنه أغفل بعضها ولم يتطرق لها، مثل عادات أهل المدينة في الأشهر التي لها مكانة وأهمية دينية؛ كشهر رمضان والمحرم، إضافة إلى أنه لم يتطرق كثيراً إلى الأعياد والاحتفالات، والملبس والمسكن، وإن لم يكن بالضرورة أن يكون الرحالة قد وصف تلك المظاهر جلها، ولكن المهم هو الأبرز فيها.

- يمكن تقسيم المعلومات الاجتماعية التي أوردها المراد أبادي في رحلته، عن المدينة المنورة إلى قسمين: الأول، معلومات تميز بها عن المصادر التاريخية الأخرى التي تناولت تاريخ المدينة، خلال الفترة العثمانية (٩٢٣-١٣٣٢هـ/ ١٥١٧-١٩١٤م)، بل تفرد بها، ولم ترد في تلك المصادر، منها :ما يتعلق بالأشراف والسادة، والمجاورين من العالم الإسلامي بعامة، والهند بخاصة، إضافة إلى مناقب أهل المدينة وأخلاقهم، وخطب الجمعة في الحرم النبوي، وفئات الحجاج التي تواجدت في المدينة عند زيارة المراد أبادي لها، والعادات المتبعة عند وفيات الأشراف أو تعيينهم، وعادة ختان الشباب وهم في سن البلوغ. أما النوع الثاني من المعلومات التي أوردها المراد أبادي، عن عادات الوفيات والمواليد الجدد، والتعليم في الحرم وعادة إقامة الولائم، وغيرها فقد تناولتها المصادر التاريخية والمراجع الحديثة المتعلقة بالفترة العثمانية.

- برهن المراد أبادي على منهجيته العلمية وحياديته عندما وجه انتقادات لاذعة لبعض السلوكيات والتصرفات السلبية عند بعض الفئات في المدينة، مثل قلة استخدام العربية الفصحى بين السكان، وتسول بعض الفئات من المجاورين والحجاج، وختان الشباب وهم في سن البلوغ.

- على الرغم من المنهجية التي استخدمها المراد أبادي في جمع المعلومات والتعامل معها، إلا أنه أحياناً قليلة كانت معلوماته لا يجانبها الصواب، ومن الأمثلة على ذلك عند حديثة عن حجاج إيران بأنهم لا يتوقفون في المدينة ولا يجاورون بها. وهذا الأمر تنقصه الدقة، إذ أنهم كانوا يحرصون على القدوم إليها لزيارة قبور

ومزارات آل بيت رسول الله ﷺ[١]، إضافة إلى وجود طائفة من إخوانهم في المذهب، في المدينة، الذين يطلق عليهم اسم النخاولة[٢]، وكذا بالنسبة لحديثه عن أعداء الدولة العثمانية بقوله "كفار بني الأصفر"، وهي إشارة عامة غير دقيقة، وربما هنا المقصود البلغار والروس والمجر[٣]. لكن مثل تلك الملحوظات لا تقلل بأي شكل من الأشكال، من أهمية المعلومات الاجتماعية التي ترد في الرحلة.

-تعتبر المعلومات الاجتماعية التي وردت عن المدينة المنورة عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، في رحلة المراد أبادي، غاية الأهمية، ولا يمكن للباحث في تاريخ المدينة الاستغناء عنها، إذ أنها تفوق من حيث الأهمية المعلومات التي وردت عند الرحالة الغربيين، إضافة إلى أنها أكثر دقة. كما أنها تعبر في غاية الأهمية إذ ما قورنت بالمعلومات الواردة في المصادر التاريخية المتعلقة بالمدينة المنورة في العهد العثماني.

(١) عن مزارات آل البيت، انظر: صادق باشا، مشعل المحمل، ص١٢٩-١٣٠.

(٢) لمزيد من المعلومات عن الشيعة في المدينة المنورة، انظر: جلبي، الرحلة الحجازية، ص١٥-١٥١؛ صادق باشا، كوكب الحج، ص٢٢٣-٢٢٤؛ بوركهارت، رحلات في شبه جزيرة العرب، ص٣٢٨؛ بيرتون، رحلة بيرتون على مصر والحجاز، ص١٤٠.

(٣) عبدالرحيم بنحادة، العثمانيون: المؤسسات، الاقتصاد والثقافية، الدار البيضاء، سبو، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٣٢٢.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

١. الأنصاري، عبد الرحمن (١١٢٤-١١٩٥هـ/ ١٧١٢-١٧٨٠م)، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، ط١، تونس، المطبعة العتيقة، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

٢. باش أعيان، عبدالله، الفتوحات الكوازية إلى الأراضي الحجازية سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩م.

٣. البرزنجي، جعفر بن إسماعيل (١٢٥٠-وفاته بعد١٢٨٧ هـ/ ١٨٣٤- وفاته بعد ١٨٨٧م)، نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين، تحقيق أحمد سعيد سويلم، المدينة المنورة، مكتبة الرفاعي، د. ت.

٤. بوركهارت، جون لويس، رحلات في شبه الجزيرة العرب، ترجمة عبدالعزيز الهلابي وعبدالرحمن الشيخ، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٥. بيرتون، رتشارد، رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز، ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ، ط١، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥. .

٦. جلبي، أوليا، الرحلة الحجازية، ترجمه عن التركية الصفصافي أحمد المرسي، ط١، القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م، ص١٣-١٣١.

٧. الخفاجي، أحمد بن محمد (توفي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)رسالة في فضل المدينة وساكنها وفي فضل الأنصار رضي الله عنهم وفي المنبر الشريف، تحقيق عبدالرزاق عبد الرزاق عيسى، في دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

٨. الحسيني، محمد بن كبريت بن عبدالله، الجواهر الثمينة في محاسن المدينة، تحقيق عائض الردادي، ط١، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

٩. الحموي، ياقوت (٥٧٤-٦٢٦هـ/ ١١٧٨-١٢٢٨م)- معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧.

١٠. الخفاجي، أحمد بن محمد (توفي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي)رسالة في فضل المدينة وساكنها وفي فضل الأنصار رضي الله عنهم وفي المنبر الشريف، تحقيق عبدالرزاق عبد الرزاق عيسى، في دراسات ورسائل في تاريخ المدينة المنورة، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

١١. الخليفتي، زين العابدين (ت١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م)، نتيجة الفكر في خبر مدينة سيد البشر، تحقيق محمد علي فهيم بيومي، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

١٢. الداغستاني، عمر بن عبد السلام (ت١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م)، اللآلئ الثمينة في أعيان شعراء المدينة، تحقيق عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، ط١، القاهرة، مكتبة زهاء الشرق، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م؛

١٣. الداغستاني، عمر بن عبد السلام (ت١٢٠١هـ/ ١٧٨٧م)،، تحفة الدهر ونفحة الزهر، مخطوط مكتبة الصافي، رقم ١٥٣؛

١٤. الدرعي، ابن عبد السلام (ت١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م)، ملخص رحلتي ابن عبدالسلام الدرعي المغربي، إعداد حمد الجاسر، ط١، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٥. الدمشقي، أبو بكر بن بهرام (ت ١١٠٢هـ)، جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير، ترجمة عن التركية وحققه مسعد بن سويلم الشامان، الرياض، مركز حمد الجاسر الثقافي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٦. الدهلوي، خواجه حسن(١٢٩٦ - ١٣٧٤ / ١٨٧٩- ١٩٥٥م)، رحلة خواجة حسن نظامي الدهلوي في مصر وفلسطين والشام والحجاز(١٩١١)، ترجمة وتعليق سمير عبدالحميد إبراهيم، ط١، القاهرة ، المشروع القومي للترجمة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م

١٧. دولتشين، عبدالعزيز، الرحلة السرية للعقيد الروسي عبدالعزيز دولتشين إلى الحجاز سنة ١٨٩٨-١٨٩٩م، ط١، بيروت، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م

١٨. ريزفان، نعيم، الحج قبل مئة عام، ط١، بيروت، دار تقريب المذاهب الإسلامية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣.

١٩. شدقم، علي بن الحسين بن (ت ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٤م)، نخبة الزهرة الثمينة في نسب أشراف المدينة، تحقيق عادل عبد المنعم أبو العباس، المدينة المنورة، مكتبة الثقافة، د. ت،

٢٠. صادق باشا، ، محمد (١٢٩٩-١٣١٩هـ/ ١٨٨٢-١٩٠٢م)، نبذة استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها العسكرية، مطبعة عموم أركان حرب بديوان الجهادية، ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، في محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية، إعداد محمد همام فكري، ط١، بيروت، بدر للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٢١. صادق باشا، محمد، كوكب الحج: في سفر المحمل بحراً «وسيره براً»، بولاق، المطبعة الأميرية، ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، في محمد صادق باشا، الرحلات الحجازية.

٢٢. صادق باشا، محمد، دليل الحج: للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج، بولاق، المطبعة الكبرى، ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م.

٢٣. العباسي، أحمد بن عبد الحميد (المتوفى في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) كتاب عمدة الأخبار في مدينة المختار، ط٣، المدينة المنورة، الناشر أسعد درابزوني، د.ت.

٢٤. ابن عبد السلام الدرعي (ت١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م)، ملخص رحلتي ابن عبد السلام الدرعي المغربي، إعداد حمد الجاسر، ط١، الرياض، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م

٢٥. الغسال، الحسن بن محمد (ت ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، الرحلة الطنجوية المزوجة بالمناسك المالكية، تحقيق محمد علي فهيم، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٦. المراد أبادي، رفيع الدين، الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية(١٢٠١هـ/ ١٧٨٩م)، ترجمة سمير عبدالحميد إبراهيم، ط١، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢٧. المرادي، (عبدالمجيد بن علي الزبادي) (ت ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م)، بلوغ المرام بالرحلة إلى بيت الله الحرام، تحقيق محمد زينهم، ط١، القاهرة، الدار الثقافية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٨. ابن موسى، علي، وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، في رسائل في تاريخ المدينة، إشراف حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص١-٨١

٢٩. الولاتي، محمد بن يحيى المختار (ت١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م)، الرحلة الحجازية، تحقيق محمد حجي، ط١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٩م.

المراجع الحديثة:

٣٠. الأنصاري، عبد القدوس، آثار المدينة المنورة، ط٥، الرياض، كتاب المنهل، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م،

٣١. أوغلو، عبد القادر د ه ده، السلاطين العثمانيون، ترجمه محمد خان، استانبول، الدار العثمانية للنشر، د. ت

٣٢. بدول، روبن، الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، ترجمة عبدالله آدم نصيف، ط١، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٣. البلادي، عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، مكة المكرمة، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٣٤. بيومي، محمد علي فهيم، المغاربة في المدينة المنورة إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٥. جارشلي، إسماعيل حقي، أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني، ترجمه عن اللغة التركية خليل علي مراد، بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٦. الجوارنة، أحمد، الهند في ظل السيادة الإسلامية: دراسات تاريخية، ط١، إربد، حمادة للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٣٧. الحجري، أحمد، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، صنعاء، مركز الدراسات اليمنية، د. ت.

٣٨. الخربوطلي، على حسن، المسعودي، ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٣٩. رالي، أغسطس، مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، ترجمة حسن سعيد غزالة، الرياض، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٠. صاريجك، مراد، نقابة الأشراف في الدولة العثمانية، ترجمة سهيل صابان، ط١، القاهرة، دار القاهرة، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٤١. الصاوي، أحمد، النقود المتداولة في مصر العثمانية، ط١، القاهرة، مركز الحضارة العربية. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١.

٤٢. الطرازي، عبد الله مبشر، انتشار الإسلام في العالم :في ٤٦ دولة آسيوية وافريقية، ج١، ط١، جده، عالم المعرفة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

٤٣. العمري، أكرم ضياء، عصر الخلافة الراشدية، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤٤. فاروقي، ثريا، حجاج وسلاطين: الحج أيام العثمانيين، ترجمة أبو بكر أحمد باقادر، ط١، بغداد-بيروت، منشورات الجمل، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٤٥. المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة للطباعة والنشر، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٤٢٢هـ/ ١٩٨٤م.

٤٦. نواب، عواطف محمد يوسف، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، الرياض، ط١، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٤٧. نوح، سمير عبدالحميد، الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص١١٢-١١٣، ٤٨٠-٤٨٣.

٤٨. هاشم، رائد علي، تاريخ الصلات بين الحجاز والهند، ط١، إربد، المؤلف، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٤٩. وزارة الثقافة والإرشاد القومي (إيران)، مديرية التأليف والترجمة، روائع من الشعر الفارسي: جلال الدين الرومي؛ سعدي الشيرازي؛ حافظ الشيرازي، ترجمة محمد الفراتي، طهران، الثقافة والإرشاد القومي (إيران)، مديرية التأليف والترجمة، د. ت

الرسائل العلمية:

٥٠. بشاوري، سامية محمد أسعد، إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢-١٢٢٨هـ/ ١٧٨٧-١٨١٢، الرياض، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب-قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٥١. السويلم، ابتسام عبد المحسن، السمهودي: منهجه وموارده في كتاباته التاريخية ٨٤٤-٩١١هـ/ ١٤٤٠-١٥٠٥م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود، ١٤٢١هـ/ ١٩٩٩م.

٥٢. القط، على معتوق، الحجاز في القرن الثامن عشر، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، د. ت.

الدراسات والأبحاث:

٥٣. البابطين، هيا عبد المحسن، ملامح من الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة زمن العثمانيين ٩٢٣-١٣٣٤هـ/ ١٥١٧-١٩١٦م، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، س٨، ع، ١٤٢٥، ١٦هـ/ ٢٠٠٧م، ص١١٦-١٦٢

٥٤. البوزيدي، أحمد، "جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمكة والمدينة من خلال رحلة الحيوني في أواسط القرن الثالث عشر، التاسع عشر الميلادي"، دعوة الحق، عدد٣٥٧، س٤٢، شوال-وذي الحجة ١٤٢١هـ/ يناير-فبراير ٢٠٠١م، ص٤٧-٥٨.

٥٥. جلاب، حسن، أدبيات الشوق إلى البقاع المقدسة، دعوة الحق، ع٣٥٧، س٤٢، شوال-ذو القعدة-ذو الحجة، ١٤٢١هـ/ يناير-فبراير، ٢٠٠١م، ص٢٤-٤٦.

٥٦. الحفناوي -، جلال السعيد، "رحلات الحج الهندية إلى مكة وأثرها على مسلمي شبه القارة الهندية"، في: الأبحاث المقدمة إلى الندوة الكبرى، م٩،، ج١، ص١٦٦-١٧٢.

٥٧. الحفناوي، جلال السعيد، "الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية في الأدب الأردي"، في: الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية: بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية المنعقدة في الرياض في المدة من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ الموافق ٢١-٢٤ أكتوبر ٢٠٠٠م، ط٢، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج، ٨٤٧، ٢- ٨٤٨.

٥٨. خان، أحمد على، "وصف رحالة الهند وباكستان للجزيرة العربية: مصدر مهمل من مصادر التاريخ للجزيرة العربية"، في :الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ج٢، ص٨٩١-٩٢٦.

٥٩. القاضي، محمد، رحلة الغيغائي الحجازية، التاريخ العربي، ع١٤٢٧، ٢٧ هـ/ ٢٠٠٦م، ص٣٥٧-٣٧٠.

٦٠. نوح، سمير عبدالحميد، المدينة المنورة في عيون شبه القارة الهندية، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع١، صفر/ربيع الثاني ١٤٢٣، غابريل /يونيو ٢٠٠٢م، ص١٥٣-١٨٥.

٦١. هادي، محمد علي، «أضواء على الرحلات الفارسية القديمة إلى الديار المقدسة»، العرب، ج١-٢، س٣٢، رجب-شعبان ١٤١٧هـ/ تشرين٢-كانون الأول ١٩٩٦م، ص٢٨-٣٧.